المركز القومي للترجمة

من المسرح السياسى الإسبانى المعاصر

أضواء بوهيمية

تأليف: رامون ماريا باى إنكلان

ترجمة وتقديم: ثريا سعد الدين شلبى



1259

روائع الدراما العالمية

المشروع القومي للترجمة

من المسرح السياسى الإسبانى المعاصر

أضواء بوهيمية

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

سلسلة روائع الدراما العالمية
المشرف على السلسلة: أحمد سخسوخ

- العدد: ١٢٥٩
- أضواء بوهيمية
- رامون ماريا باى إنكلان
- ثريا سعد الدين شلبى
- الطبعة الأولى: ٢٠٠٨

هذه ترجمة لمسرحية:

Luces de Bohemia

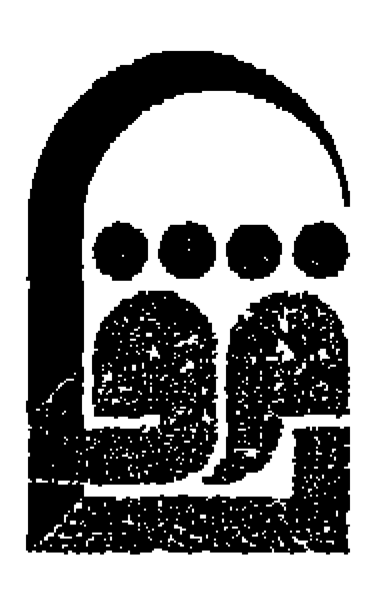
Por: Ramón Del Valle-Inclán

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524-2735426 Fax: 27354554

من المسرح السياسى الإسبانى المعاصر

أضواء بوهيمية

تأليف: رامون ماريا باى إنكلان
ترجمة وتقديم: ثريا سعد الدين شلبى



٢٠٠٨

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

إنكلان، رامون ماريا باى
أضواء بوهيمية (مسرحية) تأليف: رامون ماريا بــاى إنكــلان، ترجمة وتقديم: ثريا سعد الدين شلبى، القاهرة: المركز القــومى للترجمة، ٢٠٠٨م.
٢١٢ص، ٢٠سم
١- المسرحيات الإسبانية
أ- شلبى، ثريا سعد الدين (مترجم ومقدم)
ب- العنوان
٨٦٢

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/١٧٦٦٥
الترقيم الدولى: 2 - 882- 437 -977
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

الفهرس

تقديم

إذا كانت المصادفة قد لعبت دورها فى اختيارى لهذه المسرحية، فالإصرار كان وراء الترجمة؛ لأننى حاولت من خلال هذه المسرحية والدراسة التى قمت بها أن أسهم بجهد متواضع فى التعريف بشخصية من ألمع كتاب المسرح الإسبانى المعاصر فى إسبانيا خلال القرن العشرين، وأحد روّاد جيل ٩٨ (١٨٩٨) البارزين فى الأدب الإسبانى، وهو الكاتب المسرحى العظيم دون ماريادل باى إنكلان Don Ramón Maria del Valle – Inclán، هذا الجيل الذى وقف فى وجه النظام الفاسد سياسيًا واقتصاديًا، الذى ظلم أفراد الشعب الكادحين.

وإزاء هذا الفساد شعر المثقفون بالحاجة الملحّة إلى إحداث تغييرات جذرية فى المجتمع الإسبانى المتدهور اقتصاديًا، وسياسيًا، واجتماعيًا، وأخلاقيًا، فظهر جيل من الرافضين والمتمردين، أطلق عليه فيما بعد جيل ٩٨؛ تشبهًا بعام النكسة التى أصابت إسبانيا فى ذلك الحين.

ويضم هذا الجيل من الروّاد المبدعين:

١ــ ميجيل دى أونامونو Miguel de Unamuno (١٨٨٤ــ ١٩٣٦).

٢ــ رامون دل باى إنكلان Ramón Maria del Valle – Inclán (١٨٦٦ــ ١٩٣٦).

٣ــ بيو باروخا Pio Baroja (١٨٧٢ــ ١٩٥٦).

٤ــ خوسيه مارتينث رويث (أثورين) Jose Martinez Ruiz (Azorin) (١٨٧٤ــ ١٩٦٨).

٥ــ أنطونيو ماغشادو Antoñio Machado (١٨٧٥ــ ١٩٣٩).

وقد كانت مسرحية "أضواء بوهيمية" بداية لميلاد فن درامى جديد بالنسبة إلى أعمال باى إنكلان، والمعروف بـــ(أدب القُبح)، الذى يتركز فى تشويه المجتمع الإسبانى بمختلف فئاته، تشويهًا منظمًا.

وترجمة هذه المسرحية تحتاج إلى جهود خاصة؛ نظرًا إلى ما تحتويه من صعوبات كثيرة، مع أن الأسلوب يبدو بسيطًا، لكنه السهل الممتنع، إذ إن سلسلة لا تنتهى من المفردات الغريبة والأسماء المستعارة لكل الشخصيات، والمصطلحات المركبة للغة الإسبانية الدارجة التى تستخدمها فئة معينة من واقع المجتمع، إلى جانب لغة الغجر المعروفة باسم (gitanismo)، واللغة الخاصة بسكان العاصمة مدريد، التى يطلق عليها (Madrileñismo) أو (Madrileño)، كل ذلك، إلى جانب أسلوب المؤلف التهكمى الساخر، الذى يصل فى

معظم الظروف إلى حد السخرية اللاذعة، أسلوب كاريكاتيرى، يذكرنا دائمًا بمسرح العرائس.

وقد قدمت بحمد الله تفصيلاً شاملاً لكل المفردات الغريبة والمحلية التى وردت فى هذه المسرحية، وتعريفًا بالشخصيات التى لا حصر لها فى هذا العمل.

رامون ماريا دى باى إنكلان: حياته وثقافته

ولد باى إنكلان فى بلدة فيا نوڤا دى أروسا Villa Nova de Arosa فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٦٦ لعائلة من سلالة تجمع بين الثقافة وعراقة الأصل. بدأ دراسته الأولى فى بونتيفدرا Pontvedra وسانتياجو Santiago، والتحق بكلية الحقوق فى جامعة كمبوستيلا Compostela بين عامى ١٨٨٦ – ١٨٨٩م، لكن دراسته الجامعية لم تكن ذات بريق، ولم يستفد منها، وفى ذلك يبدو باى إنكلان – كسائر جيله – قد ثقف نفسه بنفسه، مستعيناً فى ذلك بالقراءات المتنوعة، وبقدرته على تأمل عالمه المحيط به والتغلغل فيه، ومن هنا بدأ تكوينه الأدبى المتميز والعميق.

بعد وفاة والده وفشله (أى باى إنكلان) فى إتمام دراسته الجامعية، انتقل إلى مدريد عام ١٨٩٠، حيث جاء من كمبوستيلا التى تحترم التقاليد، وتتميز مجتمعاتها بطابع رومانسى، وتزخر بقيود تكبح جماح الرغبات الإنسانية(١) ليتآلف مع الحياة فى مدريد، ويجد ذاته فى المسرحيات الصغيرة ذات الطابع الشعبى التهكمى، إلا أن العاطفة كانت تسيطر على تلك المسرحيات بشكل مضحك يذكرنا دائمًا بالمسرح الكلاسيكى المفعم بالحب، والعِشرة، والشرف، والسخرية،

وفى نهاية المطاف تختفى الأكذوبة الكبيرة التى تنافق (بحجز الشكليات السياسية الاجتماعية التى فى طريقها إلى الانقراض).

بالإضافة إلى ذلك أخذت البوادر الأدبية تظهر عليه عندما بدأ بعد ذلك فى نشر قصص قصيرة ومقالات نقدية بشكل منتظم فى صحف المكسيك عندما انتقل إلى هناك عام ١٨٩٢ ثم عاد إلى إسبانيا فى العام التالى.

ولقد حفر باى إنكلان اسمه على الساحة الأدبية المكسيكية من خلال مشاركته فى المنتديات والأنشطة هناك، وكانت هذه الفترة بداية اعتناقه تيار الحداثة الذى تمثل فى أعماله عندما عاد إلى إسبانيا مرة أخرى.

ظهر أول كتاب له بعد ذلك فى إسبانيا عام ١٨٩٥ تحت عنوان "نسائيات" Femeninas، وهو ست قصص غرامية تعكس فى كثير منها تأثرًا بالأدب الفرنسى المعاصر - وقتها - ووضع فيها الخطوط العريضة لمنهجه الذى سيسير عليه بعد ذلك فى رواياته الشهيرة، ومنها على سبيل المثال "الفتاة المولّدة"[1] و"سوناتا الصيف" La niña chole en la Sonata de Estio. وفى عامى ١٨٩٦، ١٨٩٧ قرر باى إنكلان اقتحام حياة العاصمة مدريد الزاخرة بالصخب والأوهام والبوهيمية والأحاسيس الجياشة. إنها فترة من

---

(١) ويعرف طابع هذه الحياة بالطابع الإيزابيلى، نسبة إلى إيزابيلا ملكة إسبانيا.

التشرد بعصر جديد يتميز بالرموز المختلفة والأوهام التى امتلأت بها رءوس مجموعة من الشباب المكافح من أجل الشهرة والمجد الأدبى. إنها فترة ربما يكون الشيء الوحيد المتناسق فيها هو الشعور بالتمرد والعصيان ورفض كل ما سبق.

والحقيقة أن هذه الندوات التى جمعت أولئك الشباب كانت حلقات نقاش حادة أشبه بالصراع أو المصارعة إلى درجة أن باى إنكلان جرحت ذراعه عندما كان يدافع عن نفسه فى نقاش مع مانويل بونو Manuel Bono، وتسببت هذه الحادثة، التى توغل فيها طوق العصا داخل ذراع إنكلاى، تسببت فى بتر ذراعه اليسرى، إلا أن حياته الأدبية لم تتوقف، وأصدر أولى قصصه "سوناتا الخريف" عام ١٩٠٢.

وبعد ذلك نشر باى إنكلان كثيرًا من القصص القصيرة والمقالات، وأنجز بعض الترجمات، وبدأ ثراؤه الأدبى فى الظهور، فأنجز "سوناتا الصيف" عام ١٩٠٣، و"سوناتا الربيع" عام ١٩٠٤، و"سوناتا الشتاء" عام ١٩٠٥، وبالإضافة إلى هذه الأعمال ظهرت له أعمال أخرى، مثل "الحديقة المظلمة El jardin umbrio"، و"نخبة من السيدات الشريفات Florilegió de honestas y nobles damas" عام ١٩٠٣.

---

(١) المولَّد: هو من لا يكون أبوه وأمه من جنسية واحدة.

وفى عام ١٩٠٤ نشر قصة "زهرة القدسية"، و"قصة الألف" التى تمثل عاملاً مليئًا بالعجائب والتدين وأيضا بالبدائية الشاعرية التى تختلط فيها حكمة الأسطورة بوقاحة الواقع.

كل هذه البدايات الأدبية جعلت من باى إنكلان أكبر داعٍ إلى الحداثة فى الأدب الإسبانى المنثور فى فترة تدفّق فيها التجديد على مستوى كل الدوائر الأدبية فى صورة انفجار أدبى غير مُتوقَّع.

وفى الوقت الذى كان فيه باى إنكلان يبحث لنفسه عن مكان فى مدريد كانت هناك شخصيات أدبية كثيرة مختلفة المشارب والمذاهب تَصادَف وجودها فى مدريد تسعى وراء الشهرة، وقد نقل لنا باى إنكلان هذه الصورة بوضوح؛ رغبة منه فى عرض أسلوب فنى جمالى متميز يناقض الأدب السابق القائم على الواقعية التسجيلية القاتمة.

يقدم لنا باى إنكلان فى سوناتاته الأربع رؤية فنية جديدة للوجود تجمع بين العلم والرومانسية فى فخامة وأرستقراطية ممزوجة بنزوع فطرى إلى الاقتداء بالشيطان، بما يعكس حقبة زمنية معينة وفلسفة جمالية أدبية. وبعد زواجه بالممثلة الإسبانية خوسيفينا بلانكو Josefina Blanco استمر إنتاجه الأدبى، فأصدر سلسلة من "الكوميديا الوحشية" Comedia Barbara عام ١٩٠٧، و"شعار المجد" Agila de Bloson، و"رومانسية الذئاب" Romance de

Jobos عام ١٩٠٨، و"وجه من الفضة" Cara de plata التى ظهرت فيما بعد عام ١٩٢٢، ثم يبدأ بعدها باى إنكلان طرح إشكالية المسرح الاجتماعى، الذى يهدف من ورائه إلى غرس نواة أدب جديد هو "أدب القُبح"، يبرز من خلاله الشعب بكل طوائفه حتى يظهر ضمير المجتمع بأسره: السيد والرعية، الراهب والماجن، كلهم منغمسون فى صخب كثيف من الانفعالات والمشاعر بصورة تعكس حقيقة المجتمع.

فى عام ١٩٠٧ نشر باى إنكلان "عطور الأسطورة"، و"شعائر فى مديح راهب زاهد"، وفى عام ١٩٠٨ بدأ فى نشر سلسلة "الحرب الكارولية مع بعثة الهجناء"[١]، وأتبع ذلك بـــ"بريق النيران"، و"المدافع القديمة".

ولقد كان تناول باى إنكلان للحرب الأهلية الإسبانية فى القرن التاسع عشر فريدًا فى نوعه، حيث أدركنا من خلاله مدى النزاع بين السلالات الحاكمة الذى تبعه سقوط الطبقة الأرستقراطية الريفية، وازدهار مفاجئ لطبقة اجتماعية جديدة ظهرت عليها علامات الثراء الفاحش بعد فك الأوقاف، ومع ذلك التغير الاجتماعى ظل باى إنكلان محافظًا على مذهبه الأدبى فى تبنى الحداثة من خلال أعماله المسرحية، مثل "رأس التنين" عام ١٩١٠، و"قصص أبريل"، و"صوت

---

(١) يقصد بعثة الصليبيين.

البطولات" تراچيديا رعوية عام ١٩١١م، لكن فى عام ١٩١٣ تجاوزت مسرحيته "الماركيزة روزاليندا" بعض الأشكال الهزلية، وهو ما ساعد على التنبؤ بحدوث تغيير فى اتجاه باى إنكلان الأدبى.

بعد حصوله على درجة الأستاذية فى علم فلسفة الجمال من مدرسة الفنون الجميلة فى مدريد (وقد ترك كل ذلك للذهاب إلى الريف والتحول سريعًا إلى مزارع) ينشر كتابه الشهير "المصباح المدهش"، الذى صار بمثابة وثيقة لرؤيته الخاصة فى علم الجمال، وفى ذلك العام يزور باى إنكلان الحدود الفرنسية، ويضع الخطوط لرؤيته الخاصة حول الحرب الكبيرة فى كتاب "منتصف الليل" رؤية كوكبية للحظة من لحظات الحرب عام ١٩١٧[١].

وعلى مر السنوات أخذ فن باى إنكلان فى النضج بشكل يضحكنا كثيرًا عندما يسلط الأضواء على المواقف المضحكة والأوضاع الشاذة التى تمر بها بلاده، فنجد فى شعره طابع السخرية اللاذعة، الذى تجسد فى قصيدة "غليون كيف" عام ١٩١٩، حتى نصل إلى عام ١٩٢٠ الحاسم بالنسبة إلى إنتاج باى إنكلان، حيث شهدنا أعماله "محبوبة الملك"، و"الملكة الأصيلة"، و"كلمات إلهية"، ومسرحية "أضواء بوهيمية" التى تعد أول عمل مسرحى يجسد أدب القُبح، فهذه المسرحية خيط يربط بين تلك الأعمال بعضها ببعض، فنجد فيها:

---

(١) يقصد الحرب العالمية الأولى.

سَيْلاً من السخرية العلنية، القلق إزاء الواقع السياسى والاجتماعى فى وقت واحد، التمزق فى تعامل الشخصيات بعضها مع بعض وفى اللغة على حد سواء.

بعد ذلك تخطو أعمال باى إنكلان بخطى ثابتة عميقة قوية ومعبّرة نحو البحث عن آفاق جديدة (التى هى فى جوهرها تدور حول الخط الأدبى نفسه باستمرار بطريقة معقدة ومتعمدة وحتمية).

وإذا كانت مسرحية "كلمات إلهية" قد لاقت نجاحًا بين الجمهور الواعى الذى رأى فيها بَعْث المسرح القومى من جديد فإن "أضواء بوهيمية" خاطبت الشعب الإسبانى كله، حيث أظهرته فى صورة بطل جماعى لها.

فى عام ١٩٣٠ ظهرت ثلاثيته "كرنفال الثلاثاء"، وهى "قرون دون فيوليرا" عام ١٩٢٥، و"حُلى المتوفّى" عام ١٩٢٦، و"ابنة الكابتن" عام ١٩٢٧، وكانت كل أعمال باى إنكلان التالية ترتدى ثوب اللامعقول، فيُظهر فيها كل الجوانب الانفعالية: التكشيرة، خيبة الأمل، المرارة... تلك الجوانب التى تصور الملامح والعيوب البارزة للشخصيات والموضوعات من ظلم اجتماعى وسياسى.

وفى عام ١٩٢٦ تظهر قصته الشهيرة "بانديراس الطاغية"، وفيها يجسد بخيال رائع بيئة الدكتاتورية وألاعيبها فى بلد ما بأمريكا اللاتينية، بلد غير معروف على الخريطة، لكنه ينبض بقوة بواقعه

المرير وفقدان الهمّة، ويبرز هذا العمل جرأة باى إنكلان على مزج عناصر اللغة وأدواتها بتمكن من المصطلحات والأسلوب الذى تتحدث به شعوب أمريكا اللاتينية. كما يُبرز أيضًا تشويهًا منظمًا لمواقف مبالغٍ فيها، حيث يتحول كل شىء إلى مادة حيوانية بأسماء الشخصيات والأشياء التى تشوه الواقع اليومى الذى تعكسه الرواية فى صورة مضطربة.

ونجد الملامح نفسها بعد ذلك فى كتاباته: رواية "الإطار الإيبرى" عام ١٩٢٧، و"يحيا صاحبى" عام ١٩٢٨، و"يد السيوف" و"أمسيات شهر سبتمبر" عام ١٩٢٢. لقد ظهرت هذه الأعمال فى كتاب واحد عام ١٩٥٨م بعد وفاته.

كانت رواية "قصر ملىء بالحيل" آخر أعمال باى إنكلان، يبرز فيها السياسة الفاشلة للدولة والأخلاقيات الزائفة فى أواخر عهد إيزابيلا الثانية، حيث توقف بعد ذلك عن الكتابة. وفى هذه الرواية أيضًا نرى واقعًا إسبانيًا مريضًا، يسعى من خراب إلى خراب، وعلى مشارف العنف والذل.

كل هذه الأعمال الجريئة والشجاعة أراد من خلالها باى إنكلان تجديد وإصلاح ما يمكن إصلاحه فى المجتمع، كما جعلت منه شخصية غير مرغوب فيها من قِبَل الأسرة المالكة، شخصية سيئة السمعة، مُهدَرة الكرامة.

وفى أواخر أيامه شغل منصب مدير بالمدرسة الإسبانية للفنون الجميلة بروما لفترة وجيزة عاد بعدها مريضًا، وساءت حالته يومًا بعد يوم، إلى أن دخل مصحة ببلدة سنتياجو دى كمبوستيلا، وتوفى متأثرًا بمرضه عام ١٩٣٦.

دراسة أدبية

أ- سخرية قومية

لقد حاولت الدراسات النقدية التى تناولت "أضـــواء بوهـــيمية" - بطريقة أو بأخرى - إبراز جو الاحتجاج الاجتماعى والشكوى، وهو ما يغلب دائمًا على ذلك النوع من الأدب الذى يعرف بـــ"أدب القُبح".

ولا نعرف على وجه الدقة لمن يتوجه المؤلف بهذا الاحتجاج، ولكن مما لا شك فيه أنه ينضم إلى زملائه الكتاب من ذلك الجيل القلق دائمًا على مستقبل الوطن (إسبانيا).

إذا نظرنا إلى أعمال باى إنكلان الأولى سنجدها مليئة بجماليات الأدب الفرنسى الزاخر بالأميرات والصالونات الفاخرة والأرستقراطية والثراء الفاحش...إلخ. لكن باى إنكلان تغيرت نظرته إلى الأدب عندما استشعر أن الوطن يحتاج إلى بحث مشكلاته وهمومه، فانخرط فى هموم وطنه إسبانيا، وقد جعله ذلك يصطدم بواقع المجتمع المرير والمؤلم من خلال شخصيات سياسية متبجحة عديمة الأخلاق. إنها إسبانيا كما تظهر فى "أضواء بوهيمية" فى لحظة دمار لا نجاة منه، وليست له نهاية.

ومن هنا كانت الشكوى تغلب على إنتاج الكتاب؛ لذلك لم يفلت أحد من التشويه والسخرية، بداية من الملك إلى أقل فرد فى المجتمع، حتى البوهيمى الذى لا يجد من يأخذ بيده فى الدنيا، ويكمن وراء ذلك رغبة المؤلف فى التشويه، رغبته فى أن يقول إن هذا لا يمكن أن يستمر.

لقد جاءت "أضواء بوهيمية" لتهاجم مجتمعًا بأسره، بجميع فئاته، وهى أول عمل أدبى إسبانى معاصر يختفى منه البطل الأوحد الذى تدور الأحداث من خلاله لتحكى أعماله وأمجاده، ويحل محل البطل الأوحد جماعة من الشعب هى البطل الحقيقى للمسرحية، هذه الجماعة تتألف من أناس مضطهدين مغلوبين على أمرهم، ويمثلون صرخة تريد أن توقظ المجتمع المنغمس فى الفساد السياسى والأخلاقى. إن "أضواء بوهيمية" تتميز بعمق إنسانى ليس له حدود، إنها نداء الشرف الاجتماعى.

ب-الخلفية الحقيقية للأحداث

إن ما يُحكى فى "أضواء بوهيمية"، ليس إلا رحلة سفر ليلية مرعبة لماكس إستريا بطل المسرحية، وهو أندلسى مُشرد... شاعر غزلى غنائى... كفيف... يقوده صديقه المقرب دون لاتينو إلى أماكن مختلفة فى العاصمة مدريد: مكتبات... حانات... قسم من أقسام البوليس... أماكن غرامية مبتذلة... مقاهى ذات شهرة معينة، إلى أن نجد البطل فى النهاية ملقى فى الظلام على عتبة باب منزله وقد فارق الحياة.

وقد أجمع النقاد على أن شخصية ماكس إستريا الغامرة مجرد قناع يختبئ وراءه وجه الشاعر الإسبانى "Alejandro Sawa"، وهو شاعر وكاتب توفى مجنونًا وكفيفًا فى مدريد ١٩٠٩م، وسط حصار من الفقر المدقع.

ويعضد هذا الإجماع عدة شواهد جاءت فى المسرحية على سبيل الذكريات أو التلميح، فلقد جاءت إحدى صفحات "أضواء بوهيمية" لتعطينا صورة واقعية لحياة هذا الشاعر الإشبيلى الفاترة والمتقلبة الأحوال، ذلك الشاعر المتأنق الفصيح الكلام، الذى كان – تقريبًا – يشبه الشبح المهموم بالأدب، والمفعم بالبوهيمية.

ولقد كانت وفاته – فقيرًا بائسًا – من المحركات القوية لمشاعر شباب ذلك الجيل من الأدباء، فكافحوا بشجاعة من أجل إعلاء اسمه وشأنه.

وعلى هذا النحو نجد أنه من السهل التعرف إلى الشخصيات الحقيقية والمشهورة التى تختبئ وراء شخصيات المسرحية وتتردد أسماؤها من خلال الحبكة الفنية. صاحب المكتبة "Puey" ناشر شعراء الحداثة، الذى يظهر تحت اسم ثراتوسترا "Zaratustra"، وثيرو بايو "Ciro Bayo" من السهل تحديد شخصيته من خلال ثرثرته ومزاحه وشواهده، وبدرو لويس جالفس "P. Luis Calvez" شاعر ممتاز ملأ الثلاثينيات فى هذا العصر بالتراچيديا والأقاصيص المرعبة، وروبن داريو "Rubén Dario" شاعر نيكارجوا العظيم الذى يظهر فى المسرحية، وقد رسمت شخصيته بدقة وبإعجاب فى صورة راهب شعرى ينظم القصائد، وكانت لها أصداء كبيرة فى أمريكا اللاتينية وأوروبا.

ووزير الداخلية خوليو بورى "Julio Buréll" الذى كانت له مواقف كثيرة مع المثقفين فى ذلك الوقت، وإرنستو بارك " Ernesto "Bark تحت اسم "Basilio Soulinak"، وهو مؤلف لعدة كتب، عبد مهاجر، وصديق حميم للشاعر المتوفى.

من هذا المنطلق تَذَكَّرَ باى إنكلان – بدون شك – أشياء أكثر من مجرد السخرية والاستهزاء المفرط المبالغ فيه، الذى كان غير مناسب فى جنازة ماكس إستريا مثلاً.

داريو دى جاديكس "Dario gadex" الكاتب والناقد الذى حظى بشهرة كبيرة، وكان يعيش عالة على إحسان الآخرين فى أخريات أيامه، توفى مجهولاً وسط نسيان تام، وآخرون كثيرون. إنها مسيرة مبهرة وحزينة لأناسٍ مهيضى الجناح، قست عليهم الحياة وأنهكتهم تمامًا مثل دُمى مسرح العرائس، ويعود إلى باى إنكلان الفضل فى بعثهم من جديد بلمحة عابرة استطاع من خلالها أن ينفض عنهم غبار النسيان ويستدعيهم من ركن ذاكرته العميق على سبيل الاستفادة من تجربتهم الإنسانية التى صحبها فشل قاتل، واستطاع أن يحركهم جميعًا من هذا المنطلق، وفى هذا الإطار.

مجموعة شخوص مفعمة بالإنسانية ظهرت فجأة لترى كل أنواع الاضطرابات الاجتماعية التى كان لها صدى مخيف بين أبناء الشعب المخلصين.

الكل يتحدث بلهجة الملهاة الشعبية الهزلية ذات الفصل الواحد... بصوت رجل الشارع فىِ مدريد... شوارع مدريد التى يدنسها بالليل ارتكاب الجرائم، والخمر، والبذاءات. إنها مهزلة شعب

ممزق يعزفها على ضجيج العنف، مهزلة تتصف بالتبجح وقلة الحياء وأحياناً بالدعارة، مهزلة محشوة بقصائد عنصرية موجهة ومؤثرة.

خلاصة وتعليق على ما سبق

عندما شرع باى إنكلان فى كتابة هذه المسرحية تخلى عن اهتماماته الأدبية الأولى والمتشعبة، تلك الاهتمامات التى يغلب على أسلوبها التصنع والزخرفة اللغوية.

لقد اكتشف واقع الحياة المريرة من خلال الضوء المأساوى المنبعث من إحدى حانات ضواحى مدريد، تلك الحانة التى كان أحد أركانها مكتظًا بكثير من الناس يكسوهم الحزن وغيبوبة الانتظار... انتظار معجزة تنقذهم من الواقع الأليم، وتحفظ لهم البقاء على قيد الحياة.

ونجح باى إنكلان فى أن يبرز لنا ذلك متلاحمًا متشابكًا فى عنف من خلال مواقف متعددة لأشخاص وأشياء بعينها تركت بصمة واضحة ومؤلمة على وجه إسبانيا.

فى كل مكان نجد احتجاجًا ضد هذا أو ذاك... صرخة مليئة بالصدق وأصالة الإحساس، ومن خلف زخارف المسرح تنزلق الأحداث ساخرة تهزأ بالأوضاع، ناقمة على الفساد السياسى والأخلاقى عن طريق شعوذة لفظية كادت تصبح غامضة.

كل ذلك يعكس لنا – بفجاجة – الحياة الفقيرة البائسة لجانب عريض من أبناء الشعب الإسبانى عند مفترق عصرين (أواخر القرن

التاسع عشر وأوائل القرن العشرين) من خلال الأكواخ والشرفات العليا فى المسارح، وكذلك ضباط البوليس الذين يمثلون صوت سيدهم.

من بين كل ذلك ومن خلفه استطاع صوت باى إنكلان أن يعلو ليجد لنفسه مكاناً، ويصل إلى آذان الشعب المغلوب على أمره، كرد فعل من خلال شكواه المريرة وأنينه ضد هذا المجتمع الغبى التافه والمتفكك.

إن صوت باى إنكلان ليس فقط نداء للأخلاق وللسلوك المستقيم؛ لكنه أيضًا بريق من الأمل والإصلاح والثقة بأبناء شعبه من أجل التعايش فى مجتمع تسوده الرفاهية والكرامة والمساواة.

إن أمسية ماكس إستريا – بطل المسرحية – ما هى إلا نسمة هواء، ذرات رماد، إلا أنها تشع بالأمل فى غد مليء بالمحبة، حيث يجد المواطن دائمًا يدًا ممتدة فى المصائب والنكبات.

* * *

تشكل "أضواء بوهيمية" نظرة جديدة إلى الحياة من خلال الأدب. إنها أول عمل أدبى لباى إنكلان على هذا النحو. لقد ظهرت أول مرة سلسلة في مجلة "إسبانيا" من ٣١ يوليو إلى ٢٣ أكتوبر عام ١٩٢٠م.

وبعد ذلك صدرت فى كتاب سنة ١٩٢٤ مع بعض التعديلات، وبظهورها آنذاك عرفت الحياة الأدبية مصطلحًا نقديًا وأدبيًا جديدًا هو: "أدب القُبح"، ورائده باى إنكلان.

إنه صوت آتٍ من لغة الشعب، مأخوذ من لهجته العامية، وخصوصًا من بعض الألفاظ الغجرية، تلك اللغة التى استطاع من خلالها توظيف كل ما هو قبيح وغريب ولافت للنظر على نحو مضحك وساخر، وسخريته فى أغلب الأحيان لاذعة ومقززة، كل هذا ينبئ عن ميلاد فن جديد ليس من الصعب استيعابه، على الرغم من خضوع ملامحه لهندسة دقيقة.

إن "أدب القُبح" الذى نادى به باى إنكلان من خلال مسرحيته يشكل منظورًا جديدًا لكل ما يدور حولنا، غايته التشويه من أجل الإصلاح، إبراز عيوب المجتمع ليحذرنا من العواقب الوخيمة التى سوف تترتب على ذلك فيما لو استمر المجتمع على هذا النحو من الفساد.

لقد جسّد باى إنكلان هذه العيوب بطريقة فريدة من نوعها، حيث وضع أحداث مسرحيته أمام مرآة مقعرة حقيقية مثبتة فى أحد شوارع العاصمة مدريد.

لسبب أو لآخر، كلما اقتربنا من "أدب القُبح" نتذكر مرآة "شارع القط" كما ذكر لنا باى إنكلان نفسه فى مسرحيته على لسان

بطلها: "الأبطال الكلاسيكيون قد ذهبوا للتنزه فى شارع القط... الأبطال الكلاسيكيون عندما تنعكس وجوههم فى هذه المرآة المقعّرة يجسدون هذا القُبح".

ويقول أيضًا: "الصور الأكثر جمالاً نجدها سخيفة وغير معقولة فى مرآة مقعّرة".

وهكذا تمثل هذه المرآة الحقيقية – المثبتة على أحد جدران شارع ضيق فى مدريد – مصدرًا للتشويه ولتجسيد العيوب، هذه المرآة الشهيرة التى شاهدت نظرات بريئة ساخرة عند المرور أمامها، لكن كيف حوّل إنكلاى هذه المرآة إلى رمز لتشويه هذا المجتمع؟! وهل من الممكن خضوع ميلاد شكل أدبى جديد لبعض المرايا؟!

المهم أن باى إنكلان اتخذ المرآة مصدرًا لرؤيته التشويهية، وقد أوضح لنا أن ما يهمه حقيقة هو تلك الرؤية التى تغلف هذه المرايا.

"إن الشعور المأساوى للحياة الإسبانية يمكن إبرازه من خلال تشويه منّظم، ولذلك نشوه التعبير فى المرآة نفسها التى تشوه الوجوه، وكل حياة إسبانيا البائسة.

وهكذا نرى أن المسرحية صرخة أخلاقية، ونصيحة، وإصلاح بشكل دائم. وفى الوقت نفسه يجب أن نضع فى الحسبان أن هذا

التشويه تأكيد واضح لأسلوب متعمّد، وهو سير الحياة كلها بتشويه منظم.

ونلمح تأثر باى إنكلان الواضح بالرسام الإسبانى الشهير "جويا" منذ أولى كتاباته، لكن التوازن بين فن "جويا" وفكر "باى إنكلان" نجده واضحًا جليًا فى "أضواء بوهيمية" عندما يقول: إن التشويه "القُبح فى الفن" قد ابتدعه "جويا"؛ ولوحة "التحويل" أشهر لوحات "جويا" التى يبدو فيها "أدب القُبح" بشكل واضح وملموس.

"الإنسان المفرط فى التأنق يجد صورته أمام المرآة المقعرة متبدلة في شكل قرد". وعلى كل حال، ربما تكون هذه المرآة مصادفة، ونستطيع اعتبارها نتاجًا ثقافيًا لرؤية الفنان النابعة من أعماقه، سواء أكان كاتبًا أم رسّامًا.

وعلى الله قصد السبيل

ثريا شلبى

القاهرة، ٢٠٠٧

شخصيات المسرحية

Max Estrella	ماكس إستريا
Don Latino de Hispalis	دون لا تينو دى اسباليس
Zaratustra	ثراتوسترا
Don Gay	دون جاى
La Chica de La Portera	فتاة البوابة
Pica La Gartos	بيكا لا جارتوس
Enriquita La Pisa Bien	إتركيتا لا بسابينى
El Rey de Portugal	ملك البرتقال
Dorio de Gadex, Rafael de Los Velez, Lucio Vero, Minguez, Galves, Clarinto y Perez, Jovenes Modernistas	دوريودى جاديسى، رفائيل دى لوس فيل، لوس فيل، لوثيو فيرو، مينجيس، جالفيث، كلا رينتو وبيريث، شباب الحداثة
Pitito, Capitan de Los Equites Municipales,Un Sereno	بتيتو، كابتن فرسان البلدية، خضر الليل
Lavoz de un Vecino	صوت أحد الجيران

Dos Guardias del Orden	حارسى نظام
Serafin el Bonito	سيرافينى الحلو
Un Perso	أحد السجناء
El Portero de una Redaccion	بواب أحد دور التحرير
Don Filiberto, Redactor en Jefe	دون فيليبرتو ،رئيس التحرير
El Ministro de La Gobernacion	وزير الدخلية
Dieguito, Secretario de Su Excelencia	ديجيتو، سكرتير معالى وزير الداخلية
Un Ujier	محضر
Una Vieja Pintada y La Lunares	عجوز ملونة و لوناريس (فتاة ليل)
Un Joven Desconocido	شباب غير معروف
La madre del nino muerto	والدة الطفل المتوفى
El Empenista	المرابى
El Guardio	الحارس
La Portera	البوابة

Un Albanil	البنا
Una Vieja	إحدى العجائز(عجوز)
La Trapera	المتحرقة
Otra Portera	حارسة أخرى
Una Vecina	إحدى الجيران
Basilio Soulinake	باسيليو سولليناكى
Un Cochero de la Funerario	سائق الجنازة
Dos Sepultureros	حفاران قبور
Ruben Dario	روبن داريو (شاعر)
El Marques de Bradomin	الماركيز دى برادومين
El Pollo del Pay-Pay	البويو دل باى-باى
La Periodista	الصحفية
Turbas, Guardias, Perros, Gatos,Un Loro	خليط من الناس، حراس، كلاب، قطط، ببغاء

المشهد الأول

(١)

(لحظة الغروب... غرفة صغيرة ذات نافذة ضيقة تغمرها الشمس... صور... لوحات محفورة... أوتوجرافات موزعة ومعلقة على الجدران ومثبتة بدبابيس رسم.

حديث فاتر بين رجل كفيف وزوجته... الرجل الكفيف يدعى ماكس إستريا Max Esterella، وهو شاعر قصائد غنائية وغزلية... زوجته سيدة ذات شعر أحمر... حزينة... منهوكة... تعرف بـ: مدام كوليت، وهى فرنسية الأصل).

ماكس : اقرئى لى خطاب مدير تحرير الصحيفة مرة أخرى.

مدام كوليت: تحلَّ بالصبر يا ماكس.

ماكس : أستطيع الانتظار حتى الموت.

مدام كوليت: حان الوقت لتنطلق إلى الأمام.

ماكس : من المؤسف حقًا أنى أرانى أدنى من هذه المقالات الأربعة، فمن أين لى الحصول على عشرين بيزيتا[١] Pesetas يا كوليت؟

مدام كوليت: لا تيأس، سيفتح الله بابًا آخر.

ماكس : باب الموت فقط... نستطيع الانتحار جميعًا.

مدام كوليت: بالنسبة إلىّ فالموت لا يفزعنى، ولكن لدينا ابنة شابة يا ماكس.

ماكس : وإذا كانت ابنتنا كلودينيتا Claudinita متفقة تمامًا مع وجهة نظرى فى الانتحار الجماعى؟!

مدام كوليت: إنها فى ربيع العمر يا ماكس!

ماكس : الشباب ينتحر أيضًا يا كوليت.

مدام كوليت: الشباب ينتحر من أجل الحب، أو فى سبيل الحب، وليس ليأسه من الحياة.

ماكس : إذن ينتحرون من أجل حبهم الزائد للحياة. خسارة حقًا أن يتبلد إحساس كلودينيتا. بقليل من السم نستطيع جميعًا أن نقوم بالرحلة الخالدة.

---

(١) Pesetas: عُملة إسبانية.

مدام كوليت: لا تيأس، سيُفتح لنا باب آخر.

ماكس : أين يُقبل كفيف مثلى؟ فى أية دار تحرير أو فى أية صحيفة؟ لا أعتقد!

مدام كوليت: اكتب رواية أخرى بدلاً من تلك.

ماكس : لو فعلت ذلك لن أجد ناشرًا.

مدام كوليت: آه منك، لا تكن سلبيًا هكذا يا ماكس، فالجميع يعترفون بموهبتك، ويقدرونك حق قدرك.

ماكس : لم يعد أحد يتذكرنى، اقرئى لى خطاب مدير التحرير مرة أخرى.

مدام كوليت: لا تدع اليأس ينل منك.

ماكس : اقرئى.

مدام كوليت: الخطاب مكتوب بخط ردىء جدًا.

ماكس : اقرئيه بتمهل.

مدام كوليت وقد بدا عليها الحزن والخضوع... تقرأ الخطاب بصوت خافت... من خارج الحجرة يُسمع صوت مكنسة، ويدق جرس الباب.

مدام كوليت: كلودينيتا، أخفضى صوت المكنسة، وانظرى من بالباب.

كلودينيتا : سيكون دائمًا دون لاتينو Don Latino.

مدام كوليت: يا إلهى.

كلودينيتا : أأقذف الباب فى أنفه؟

مدام كوليت: إنه يرفه عن أبيكِ.

كلودينيتا : ستفوح الآن بالمنزل رائحة الخمر.

المشهد الأول

(٢)

(ماكس إستريا يعتدل متحمسًا... لحيته الجميلة الطويلة مبعثرة فوق صدره... خصلات الشعر الأبيض المجعّد تكسو رأسه الكفيف وتعطيه طابعًا كلاسيكيًا عفا عليه الزمن ويذكرنا دائمًا بإرمز[1] Hermes).

ماكس : انظري كوليت! لقد استعدت بصري، إنى أرى! وماذا أرى؟! شيئًا عظيمًا جدًا... حديقة المونكلوا La Moncloa الركن الفرنسى الوحيد فى هذه البقعة الإسبانية. لابد من العودة إلى باريس يا كوليت، لابد من العودة إلى هناك. يجب أن نجدد تلك الأيام.

مدام كوليت: إنك تهذى يا ماكس.

ماكس : إننى أرى، أرى بوضوح.

مدام كوليت: ولكن ماذا ترى؟

ماكس : أرى العالم.

---

[1] Hermes: إله البلاغة عند الإغريق.

مدام كوليت: هل تراني؟

ماكس : لِمَ أحتاج إلى رؤية الأشياء التى ألمسها؟

مدام كوليت: اجلس هنا، سأغلق النافذة علّك تستطيع النوم.

ماكس : لا أستطيع.

مدام كوليت: مسكين.

ماكس : إننى أشعر بالموت، لقد عاد الظلام مرة أخرى.

(يتكأ ماكس بعد ذلك مسترخيًا فوق المقعد... الزوجة تغلق النافذة... تظل الحجرة غارقة فى أشعة شمس الغروب... يستغرق الكفيف فى النوم... الزوجة تبدو شبحًا حزينًا يجلس على أحد المقاعد تطوى خطاب رئيس التحرير.

تدفع الباب يدٌ حذرة... ينفتح بصرير بطيء... يدخل منه شيخ صعلوك... منهوك من كثرة السعال الربوى... أحدب... فوق عينيه نظارة شمسية... يصاحبه كلب صغير وحقيبة بها مجلات مشهورة... إنه دون لاتينو دى إسباليس Don Latino de Hispalis تظهر خلفه كلودينيتا بشعر منساب على ظهرها، وصندل ممزق، وجونلة طويلة).

دون لاتينو : كيف حال العبقرى؟

كلودينيتا : ينتظر ثمن الكتب التى أخذها شخص ماكر ليبيعها.

دون لاتينو : أليست لديكِ ألفاظ أخرى منتقاة توجهينها إلى الأخ المخلص لوالدك؟ هذا الرجل العظيم الذى يعدّنى أخًا له! ما هذا اللسان يا كلودينيتا؟

مدام كوليت: هل أحضرت معك النقود يا دون لاتينو؟

دون لاتينو : مدام كوليت، لقد كنت دائمًا فطنة، ذات بصيرة نافذة. لست أدرى ماذا تقصدين. لقد تصرف ماكس بكرم فى هذه النقود.

مدام كوليت: هل هذا صحيح يا ماكس؟ أيمكن أن تفعل بنا هذا؟

دون لاتينو : **(متجهًا نحو ماكس المستغرق فى النوم)** لا تنتزعيه من بين ذراعى مورفيو Morfeo[١].

كلودينيتا : ماذا تقول يا أبى؟

ماكس : فلتذهبوا جميعًا إلى الجحيم.

مدام كوليت: آه منك يا عزيزى، لقد تركتنا إذن دون كسرة خبز بسبب كرمك الفائض.

---

[١] مورفيو Morfeo: إله الأحلام عند الإغريق.

ماكس : لاتينو، إنك مستهتر.

كلودينيتا : دون لاتينو، إذا لم تدفع إلينا هذه النقود فى الحال، ورغم أنفك، سأنشب فيك أظافرى.

دون لاتينو : قُصى أظافرك إذن يا كلودينيتا.

كلودينيتا : سأقتلع عينيك.

دون لاتينو : كلودينيتا!

كلودينيتا : إنك صعلوك. .

دون لاتينو : ما هذا يا ماكس؟ أستنفعك هذه النقود؟

ماكس : ماذا فعلت بها يا لاتينو؟

دون لاتينو : أخذت ثلاث بيزيتات فقط، ثلاث بيزيتات قذرة، إنه نصب وسرقة.

ماكس : كان يجب عليك ألا ترضى بذلك.

دون لاتينو : فى هذا معك كل الحق، لقد نصبوا علىَّ، لكنّا لا نزال نستطيع فسخ العقد.

مدام كوليت: طبعًا ذلك أفضل كثيرًا.

دون لاتينو : ماكس، لو ذهبنا معًا الآن إلى مكتبة هذا الصعلوك

وفضحنا أمره لاستطعنا أن نُخرج منه ريالين على الأقل.

ماكس : يجب أن يرد المبلغ الذى أخذه.

دون لاتينو : تكفى مجرد إشارة واحدة منك يا مايسترو.

ماكس : هل تعتقد ذلك؟

دون لاتينو : بكل تأكيد.

مدام كوليت: ماكس، يجب ألا تخرج فى مثل هذا الوقت.

ماكس : الهواء فى الخارج منعش، هنا حار جدًا.

دون لاتينو : فعلاً، الجو فى الخارج منعش جدًا.

مدام كوليت: سوف تعكر صفوك يا ماكس دون جدوى، ولن تحصل على شىء.

كلودينيتا : أبى، أرجوك ألا تخرج.

مدام كوليت: سأبحث عن أى شىء أرهنه.

ماكس : لن أسمح بهذه السرقة، لمن أخذت الكتب يا لاتينو؟

دون لاتينو : ثراتو سترا Zaratustra.

ماكس : كلودينيتا، أعطنى قبعتى والعصا.

كلودينيتا : هل أعطيهما له يا أمى؟

مدام كوليت: أعطه إياهما.

دون لاتينو : مدام كوليت. سوف تشاهدين ماذا سنفعل؟

كلودينيتا : إنك حقًا صعلوك.

دون لاتينو : كل ما تتفوهين به غناء يا كلودينيتا.

(ماكس إستريا يخرج من منزله مستندًا إلى كتف صديقه دون لاتينو... مدام كوليت تتنهد... الابنة تبدأ فى حل رباط شعرها بعصبية شديدة).

كلودينيتا : هل تعلمين يا أمى؟ كل ذلك سينتهى فى حانة بيكا لا جارتسو Pica la Gartus.

المشهد الثانى

(مكتبة ثراتو سترا... تشبه المغارة إلى حد كبير... تقع فى شارع إلبرتيل دى لوس كونسيخوس **El Pertil de Los Consejo**... أكوام من الكتب المكدسة تغطى الجدار... الواجهات الزجاجية الأربع للبوابة مغطاة بالورق والصور الملونة الضخمة لرواية من عدة أجزاء.

فى هذه المغارة تجد: القط، الببغاء، الكلب، كلها تتسامر مع صاحب المكتبة.

ثراتو سترا قبيح الوجه... أحدب الظهر... خنزير عتيق برباط عنق ذى لون أخضر ثعبانى... يشبه الدمية، بصفاته تلك يثير تنافرًا حادًا ومؤلمًا.

فى مقعد ممزق مصنوع من شعر الماعز يجلس ذلك القزم بقدمين متحجرتين وقذرتين أيضًا، وهو بذلك أشبه بحارس الكهف... ينظر إلى أحد الأركان فيرى فأرًا كبيرًا يخرج رأسه من فتحة ما... يباغته ثراتو سترا قائلاً:)

أتعتقد أننى لن أراك أيها اللص.

(تتعالى أصوات الحيوانات الموجودة بالمكان:)

القــط: نو نو نو.

الكلب: هو اه، هو اه، هو اه.

الببغاء: تحيا إسبانيا.

(فى هذه اللحظة يقف ماكس إستريا ودون لاتينو على حافة الباب... يخرج الأول ذراعه من بين طيات معطفه ويرفعها بعظمة وجلال متناغمين نحو رأسه الكلاسيكى الكفيف بما يوحى أنه يتوجه بالحديث إلى ثراتو سترا ويوجه إليه اقتباسًا أدبيًا يعنى أن الضيف القادم غير مرغوب فى استقباله: Mal Polonia Recibe a un extranjero[1].)

ثراتو سترا: ماذا تريد؟

ماكس : جئت لأحييك وأقول لك إن صفقتك لا تناسبنى.

ثراتو سترا: أنا لم أتعاقد معك على أية صفقة.

---

[1] هذه العبارة مأخوذة من قصة: الحياة حلم (La vida es sueño) للكاتب الإسبانى كالديرون دى لا باركا (Calderón de la Barca)، وهى تبين عمق بلاغة ماكس إستريا.

ماكس : هذا صحيح، لكنك تعاقدت مع وكيل أعمالى دون لاتينو دى إسباليس.

ثراتو سترا: وهذا الرجل مِمَّ يشكو؟، أكانت العُملة رديئة؟

(عندئذ يتدخل دون لاتينو فى الحديث مثل كلب مذعور ينبح من بين قدمى صاحبه.)

دون لاتينو : المايسترو غير موافق على السعر، ويريد فسخ العقد.

ثراتو سترا: العقد لا يمكن فسخه الآن، كان ذلك ممكنًا قبل دقيقة واحدة، لأنه قبل وصولكم بلحظة بيع الطرد كله رابحًا فيه مبلغًا زهيدًا جدًا. لقد خرج المشترى ودخلتم حضراتكم.

(فى الوقت نفسه الذى يتحدث فيه مع ماكس يلتقط صاحب المكتبة الطرد الذى كان لا يزال فوق المنضدة مستغلاً ظروف الشاعر الكفيف، ويدخل به فى الظلام غرفة خلفية، ويعطى إشارة إلى دون لاتينو ثم يظهر مرة أخرى.)

دون لاتينو: لقد قطعنا هذه المسافة إلى هنا دون فائدة، هذا الثعلب يعلم أكثر مما نعلم.

ماكس : ثراتو سترا، إنك قاطع طريق.

ثراتو سترا: دون ماكس، هذا لا يليق بك.

ماكس : لو تكلمت سأفتح رأسك.

ثراتو سترا: احترم هيبتك يا دون ماكس.

ماكس : أحمق.

(يدخل المكتبة رجل طويل القامة... نحيف... برونزى اللون... يرتدى ثياب متطوع قديم فى الجيش الكوبى... ينتعل حذاء صيفيًا مفتوحًا... يغطى رأسه بقبعة إنجليزية... يدعى دون بريجرينو جاى Don Peregrino Gay الذى كتب سيرة ذاتية عن رحلاته بالإسبانية القديمة... يصافح الجميع بمرح وحذر دون أن يجتاز الباب.)

ثراتو سترا: كيف قضيت وقتك فى هذه البلاد يا دون جاى؟

دون جاى : على أحسن ما يكون.

دون لاتينو: أين كنت؟

دون جاى : أتيت لتوى من لندن.

ماكس : لقد أتيت من بعيد إلى هنا ليهزأ بك ثراتو سترا.

دون جاى : ثراتو سترا صديق عزيز.

ثراتو سترا: هل تمكنت من إنجاز ما كنت تبغى؟

دون جاى : تمامًا أيها الأصدقاء النجباء، استطعت خلال شهرين نسخ الطبعة الوحيدة الموجودة فى المكتبة القومية فى لندن من كتاب "فرسان إستانبول".

ماكس : لكن هل حضرت فعلاً لتوك من لندن؟

دون جاى : لقد مكثت هناك شهرين بالتمام.

دون لاتينو: كيف حال العائلة المالكة هناك؟ **(مازحًا)**.

دون جاى : لم أرَ أحدًا منهم على رصيف الميناء يا دون لاتينو.

(ثراتو سترا يدخل ويخرج من خلف المكتبة ومعه شمعة مضيئة... الشمعدان يرتعد فى يديه... يسير بحذر دون إحداث أى صوت، وبطريقة تثير الضحك... يلبس فى يده قفازًا بدون أصابع... يسلط ضوء الشمعدان على مكان الكتب... نصف وجهه تحت الضوء والنصف الآخر فى الظلام... يبدو كأن أنفه قد تضاعف حجمه فوق، وعلى الجانب الآخر يقف الببغاء واضعًا منقاره أسفل جناحه.

فى ذلك الوقت تمر أمام المكتبة دورية شرطة... تمسك بتلابيب صبى حليق الرأس... مقيد اليدين... خلفه عصا تسوقه... يتسبب هذا المنظر فى هياج الحى. الصبى المقيد اليدين يصيح: "تحيا إسبانيا"، والكلب تصدر عنه هذه الأصوات: هواه، هواه، ويصيح ثراتو سترا: إسبانيا بخير.

أمام مائدة العرض بالمكتبة الزائرون الثلاثة (دون جاى، دون لاتينو وماكس إستريا) مجتمعين كما لو كانوا ثلاثة طيور واقفة على غصن واحد... وهم متكدرون إزاء هذا الحدث... يحاولون الارتفاع فوق آلامهم بالحديث فى أمور أدبية... شردوا بعيدًا عن دورية الشرطة... عن هتاف الصبى الفقير... عن نباح الكلب... عن التعليق السخيف للدمية (ثراتو سترا)... كانوا فى الواقع ثلاثة مثقفين مفلسين.)

دون جاى : يجب أن نعترف بأنه ليس هناك بلد يقارن بإنجلترا.
الوازع الدينى هناك له احترامه، وبدون شك فإن أكثر العائلات تدينًا هى العائلات الشريفة والمحترمة.
لو كانت إسبانيا على هذا القدر من احترام الوازع الدينى لأنقذت مما هى فيه الآن.

ماكس : ندعو لها بذلك.
إن أكثر الناس هنا نقاء وصلاحية هم الذين يخادعون الشعب بحجة الديمقراطية بكل أسف، أية ديمقراطية تلك؟! إنها ديمقراطية التطرف اليسارى، ربما تكون كاثوليكية جديدة إلا أننا لم نعرفها بعد.

دون جاى : أيها السادة، لقد تحولت فى إنجلترا إلى مذهب الإلحاد، إلى كاثوليكية الخُطب والأناشيد النظيفة من المعجزات الزائفة.

ماكس : مفهوم الدين عند الإسبان متخلف جدًّا، فهو بمثابة مفهوم أية قبيلة تعيش فى قلب إفريقيا.

دون جاى: (متوجهًا نحو ماكس): أستاذى، يجب علينا أن نعيد المفهوم الدينى الصحيح، ونضعه فى قالبه الأصلى، وهو إن الإنسان صورة الله فى أرضه. يجب القيام بثورة كاثوليكية للقضاء على كل المبالغات الموجودة بالإنجيل.

دون لاتينو: أنت على حق، إنهم أكثر مبالغة من الرفيق لينين.

ثراتو سترا: بدون دين صحيح لا يمكن أن تنشأ عقيدة أو توجد ثقة فى التجارة.

دون جاى : أيها السادة، يجب أن تستقل الكنيسة الإسبانية.

ماكس : وماذا نفعل بمقر الفاتيكان؟

دون جاى : إنه مقر ممتاز.

ماكس : (مازحًا) إذن من الصعب استقلال الكنيسة الإسبانية عن مقر الفاتيكان.

دون لاتينو: هذا الحديث سيصل بكم فى النهاية إلى قطاع الصوفية العظيم، وتكونون بذلك أول من وصل إلى مستوى هذا المذهب الرفيع.

ماكس : يجب إحياء مفاهيم السيد المسيح.

دون جاى: لقد طفت بجميع أنحاء العالم، وتعلمت من ذلك أن الشعوب العظيمة لا تُبنى بدون كنيسة قومية. إن العقيدة السياسية تكون غير فعالة إذا افتقدت الضمير الدينى الذى يعلو فوق كل القوانين التى يسنها الإنسان.

ماكس : عزيزى دون جاى، أتفق معك تمامًا فى ذلك، إن بؤس الشعب الإسبانى وشقاءه، وفقر أخلاقه الكبير، يرجع إلى إحساسه المبتذل أمام لغز الحياة والموت. الحياة عنده قدر من الفخار الهزيل. الموت عنده إشارة تصدر من الوجه تكشف عن الأسنان وليس أكثر. بعد ذلك الجحيم، قدر كبير من الزيت يغلى حيث الزانى والزانية يحترقان كالسردين، فقط تشفع لهما الملائكة عندما يأذن لها القسيس بذلك. هذا الشعب التعيس يحول جميع

المفاهيم العظيمة إلى قصة من قصص النساء المفرطة فى التدين إلى درجة التعصب. تديُّنه عبارة عن خرافة العجائز الذين يحنطون القط بعد الموت.

ثراتو سترا: وماذا يقول لنا يا دون جاى عن هؤلاء النسوة المسترجلات اللائى يطالبن بحقهن فى الانتخابات.

دون جاى : لسن كلهن مسترجلات أيها الأصدقاء.
هل تعلمون كم كلفتنى المعيشة فى لندن؟ ثلاث Peniques[1]، والسكن هناك يفوق هنا أضعافًا مضاعفة.

دون لاتينو : ماكس هيا بنا نمت فى إنجلترا، دوّن لى دُون جاى من فضلك عنوان الفندق الذى نزلت به.

دون جاى : سانت چيمس اسكوارت Snt James Squart احذرا الخطأ، طريق ملجأ الملكة إليزابيث، وكان مناسبًا جدًا، هو كما قلت لكم يفوق أى فندق هنا بمراحل عدة؛ فى الصباح شاى باللبن، وخبز مغطى بالزبد، السكر قليل إلى حد ما. بعد ذلك فى وجبة المساء خليط من البقول باللحم، أحيانًا بعض السردين أو الرنجة، وجبن وشاى... لقد اعتدت دائمًا طلب "البيرة"، وكانت تكلفنى

---

[1] Peniques: عملة إنجليزية تساوى أربعة مليمات.

عشرة قروش. كل شيء نظيف جدًا. الصابون والماء الدافئ للحمامات كثير ولا ينقطع.

ثراتو سترا: هل صحيح أن الإنجليز يغتسلون كثيرًا؟ لقد اعتدت رؤية بعضهم يأتى هنا، وكنت ألاحظ أنهم فى غاية النظافة.

دون لاتينو: كما قلت، سأرحل إلى إنجلترا، قل لى يا دون جاى: لماذا لم تبق هناك فى هذه الجنة؟

دون جاى : لأنى مريض بالروماتيزم، وفى حاجة دائمًا إلى شمس إسبانيا.

ثراتو سترا: شمس إسبانيا موضع حسد الأجانب على الدوام.

ماكس : **(يرد على ثراتو سترا بما معناه على أى شيء يحسدوننا)**: ماذا نكون نحن الإسبان، ربما أكثر حزنًا، أو أكثر تشاؤمًا وأقل غضبًا، ربما أكثر غباء إلى حد ما مع أننى لا أعتقد ذلك.

(على حافة الطريق ابنة إحدى حارسات العقارات يطل رأسها وعليه ضفيرة مستعارة، وجورب يتدلى من ساقيها، ويعكس وجهها شظف العيش.)

الفتاة الصغيرة: (تسأل ثراتو سترا): هل نزلت بالأسواق سلسلة "ابن المتوفاة" هذا الأسبوع؟

ثراتو سترا: إنها توزع الآن.

الفتاة : هل تعلم إذا كان ألفريدو بطل القصة المسلسلة قد تزوج أخيرًا؟

دون جاى : (ساخرًا) ماذا تريدين أيتها الجميلة؟

الفتاة : لست أنا، إنها مدام لوريتا Lorita حرم الچنرال هى التى كلفتنى بالسؤال عن ذلك.

ثراتو سترا: قولى لهذه السيدة إن ما تفعله الشخصيات فى الروايات يكون دائمًا سرًا، خاصة لو كان يتعلق بالزواج أو الموت.

ماكس : ثراتو سترا، احذر هذا الكلام، وإلا ستجد نفسك تحت طائلة القانون.

ثراتو سترا: من الأفضل أن يذاع السر، وبذلك لن تكون هناك رواية.

(بعد ذلك تنسحب الفتاة تجر وراءها ذيل ثيابها بحذائها المصنوع من الغاب... انحنى دون جاى ليتحدث إلى ثراتو سترا فى أحد أركان

المغـــارة[1]. يتوجه ماكس إســتريا ودون لاتيـــنو إلى حانة بـــيكا لا جارتوس الواقعة فى شارع المونتيرا La Montera.)

(1) المكتبة.

المشهد الثالث

(داخل حانة بيكا لا جارتسو ضوء فلوريسنتى هادئ... واجهة من الزنك... مدخل مظلم... موائد حولها مظلات... بعض الأشخاص يلعبون الكوتشينة... يتبادلون حوارًا غير واضح.)

ماكس إستريا ودون لاتينو عند أحد الأركان بمثابة أشباح فى الضوء الخافت... يتبادلان أقداح النبيذ الأحمر.

صبى الحانة : لقد حضرت الماركيزة دل تانجو La Marquesa del tango لتبحث عنك يا دون ماكس.

(أحد زبائن الحانة السكارى يخرج صوتًا من فمه، مياه).

ماكس : أنا لا أعرف هذه السيدة.

صبى الحانة : إنريكيتا لابيسابينى؟

دون لاتينو : ومتى حصلت هذه الصعلوكة على هذا اللقب؟

صبى الحانة: منذ أن ورثت المرحوم والدها الذى لا يزال على قيد الحياة.

دون لاتينو : هل ذكرت متى ستعود أيها الثقيل؟

ماكس : هل ذكرت أنها ستعود ثانيًا؟

صبى الحانة : لقد دخلت وحملقت فى جميع الحاضرين تبحث عنك، ثم سألت ورحلت فى الحال وهى منزعجة.

(يلتفت مرة أخرى): انظر، إنها أمامك هناك عند المدخل.

إنريكيتا لابيسابينى فتاة متشردة... حولاء العينين... بائعة يانصيب وورد... تغطى شعرها بغطاء منسوج من الحرير الأصفر... تضع فيه مشطًا على الطريقة الغجرية...

لابيسابينى : الفل، الفل...

(تلمح دون ماكس فتتجه ناحيته)

أمى مريضة وترجوك أن تعطينى ورقة اليانصيب التى معك وتحمل رقم عشرة، التى كانت أمى قد أعطتها لك.

ماكس : أعطيها لها وأبلغيها بأن تذهب معها إلى الجحيم.

لابيسابينى: هل تأمر بأى شىء آخر؟

(الكفيف يخرج من بين يديه حقيبة بالية... يتفحص الأوراق بشىء من الغموض... يستخرج من بينها ورقة اليانصيب... يضعها على المائدة... تظل هكذا على المائدة مكشوفة بين أكواب النبيذ... يتضح

رقمها تحت الضوء الفلوريسنتى... تسرع لابيسابينى فى التقاطها والاستيلاء عليها.)

دون لاتينو : (صائحًا) هذا الرقم رابح لا محالة.

لابيسابينى : دون ماكس يحتقر النقود على الدوام.

صبى الحانة: لا تدعها تفلت يا دون ماكس.

دون ماكس: أنا أفعل ما أريد أيها الصبى، اذهب سريعًا وأحضر لى علبة سجائر.

صبى الحانة: دون ماكس، هذه الورقة أرقامها موحدة من الستات والخمسات، وبذلك تكون رابحة بالتأكيد.

لابيسابينى : نعم هذه الورقة رابحة، لكن من الضرورى لو أردت استردادها أن تدفع إلىَّ ثمن ثلاثة مشروبات. لو أردت ياسمينًا سأهديه إليك.

ماكس : قفى مكانك أيتها الصعلوكة.

لابيسابينى : لا أستطيع، ينتظرنى خنزير أرمل.

ماكس : انتظرى.

(وينادى بعد ذلك على صبى الحانة) اذهب الآن وارهن لى هذا المعطف.

لابيسابينى : إنه لا يساوى شيئًا، لن يعطوه ثمنًا أبدًا حتى ولا صباح الخير... من الأفضل أن تطلب من بيكا لا جارتوس ثلاثة جنيهات.

صبى الحانة : لو استطعت تملقه ستجد النقود بين يديك فى التو واللحظة.

(نحو ماكس)

لأنه يعدك كاستيلار الثانى[1] Castelar.

ماكس : (بإصرار) اطو المعطف، وانصرف.

صبى الحانة : أى ثمن تريدنى أن أطلب فيه؟

ماكس : خذ منهم أى شيء يعطونك إياه.

لابيسابينى : لكن، لن يأخذوه منه أبدًا.

دون لاتينو : لا تتفوهى ببنت شفة، إنكِ ثقيلة الظل.

---

[1] كاستيلار Castelar: كاتب وخطيب وسياسى إسبانى مشهور جدًا.

ماكس : هيا اذهب مسرعًا يا بنى.

صبى الحانة : فى الحال، سأجرى كالغزال الجريح يا سيدى.

ماكس : إنك كلاسيكى (**مشيرًا إلى أن الغزال الجريح رمز السرعة فى إحدى القصص الكلاسيكية فى الأدب الإسبانى**).

لابيسابينى : على أية حال، لو رفض شراء المعطف منك، قل لهم إنه لشاعر موهوب.

دون لاتينو : شاعر إسبانيا الأول.

رجل سكير بالحانة: إنه عقل متميز.

ماكس : أنا لست موهوبًا. على العكس، لقد عشت دائمًا بطريقة سخيفة.

دون لاتينو : لأنه ليست لديك الموهبة لتعرف كيف تعيش.

ماكس : غدًا سأموت. زوجتى وابنتى لن يبقى فى فميهما شىء تقولانه غير إنا لله وإنا إليه راجعون.

(يسعل ماكس كثيرًا... مبحوح الصوت... لحيته تهتز... فى عينيه الكفيفتين بريق حزين من أثر النبيذ والحمى التى فاجأته.)

دون لاتينو : كان يجب عليك ألا تخلع معطفك.

لابيسابينى : هذا كلام غير مفيد، اطلب لى شيئًا أشربه يا ماكس.

ماكس : اطلبى ما تشائين.

لابيسابينى : قدحًا من الينسون.

دون لاتينو : إنه مشروب راقٍ إلى حد ما.

لابيسابينى : طبعًا، إنه شيء بسيط بالنسبة إلى زوجة ملك البرتغال هكذا يطلقون على زوجها، دون ماكس، لا أستطيع الانتظار كثيرًا لأن زوجى يشير إلىَّ من على الرصيف.

ماكس : ادعيه إلى الحضور.

(زوجها صعلوك طويل القامة... يبيع الصحف... دائم الضحك بلا داع عندما ينظر إلى الآخرين مثل الكلب الذى يمعن فى النظر فى الأشياء بابتسامة عريضة تتوسط ثقوب الجدرى التى تملأ وجهه... إنه ملك البرتغال الذى يتعامل مع لابيسابينى بخسة وحقارة.)

لابيسابينى : ادخل يا مانولو Manolo.

ملك البرتغال : اخرجى أنتِ من هنا.

لابيسابينى : هل يفقدك دخولك تاج العرش، ادخل متخفيًا أيها الثقيل.

ملك البرتغال : إنريكيتا، ماذا دهاكِ، سوف أشبعكِ ضربًا بالعصا.

لابيسابينى : لا تستطيع، فأنت كاذب.

ملك البرتغال : تصوروا أيها السادة، إنهم يطلقون علىَّ ملك البرتغال، لكننى لا أساوى مليمًا واحدًا. إن هذه الصعلوكة لابيسابينى منذ أن ذهبت إلى لشبونة وتعلمت قيمة النقود، أصبحت تسخر منى دائمًا.

لابيسابينى : لا تتكلم هكذا، أيها المخبول.

ملك البرتغال : انصرفى.

لابيسابينى : تمهل حتى أنتهى من احتساء قدح الينسون الذى سيدفع دون ماكس ثمنه.

ملك البرتغال: وما الذى بينكِ وبين الشاعر حتى يدفع لكِ ثمن المشروب؟

لابيسابينى : نتعاون معًا.

ملك البرتغال: أقول لكِ أسرعى.

لابيسابينى : لحظة أن يصبها بيكا لا جارتسو.

بيكالا جارتسو: ماذا تقولين أيتها الصعلوكة؟

لابيسابينى : آسفة، أيها الخفيف.

بيكالا جارتسو: فينانسيو Venancio من فضلك، هكذا يسموننى.

لابيسابينى : اسمك يشبه اسم رواية مشهورة، هيا، صب لى كوب الينسون، وأعطِ زوجى كوبًا من الماء لأنه يشعر بالحر الشديد.

ماكس : لا تقارنّى بكاستيلار مرة أخرى فينانسيو، لأن كاستيلار كان أبله، ألا تفهم؟ اعطنى كأسًا أخرى من النبيذ.

بيكالا جارتسو: أيها السادة إنكم سطحيون، كاستيلار كان فخرًا قوميًا لإسبانيا، وربما لا تعلمون أن أبى رشحه من قبل نائبًا فى البرلمان.

لابيسابينى : لا تصدق. أعطنا برهانًا على ذلك.

بيكالا جارتسو: أبى كان حلاقًا لدون مانويل كامو Don Manuel Camo[1] الذى كان – دائمًا – مفخرة مدينة أويسكا Huesca.

السكير : كان عقلاً متميزًا.

بيكالا جارتسو: اخرس أنت أيها الصهيونى.

السكير : هل أخطأت فى شىء؟

بيكالا جارتسو: (للسكير) ربما أنك مثقف ثقافة الرهبان.

لابيسابينى : بما أنك تخرجت فى مدرسة الرهبان، إذن تعلمت فى هذه المدرسة مع أبى.

السكير : ومن والدك؟

لابيسابينى : نائب برلمانى.

السكير : أنا تلقيت تعليمى بالخارج.

لابيسابينى : (مازحة) وهل سافرت متنكرًا؟ ومن تكون بالمناسبة؟

---

[1] دون مانويل كامو Don Manuel Camo: سياسى إسبانى ونائب برلمانى، داهية، وقد ذكر اسمه كثيرًا فى روايات جيل ٩٨ الشهير، ويُعد رمزًا للحكم الاستبدادى.

السكير : إذن لقد عرفتنى من الصورة.

لابيسابينى : طبعًا، لماذا تمضى هكذا دون أن تعلق الوردة فى عروة الچاكت؟

السكير : **(تقربًا منها)** تعالى ضعيها أنتِ لى.

لابيسابينى : سأعلقها لك، وسأغازلك بها.

ملك البرتغال: (متجهًا نحو السكير) احترم نفسك أيها الصعلوك، يجب أن تنظر حولك قبل أن تلمس إنريكيتا، لأنها شىء يخصنى أنا فقط.

لابيسابينى : **(لزوجها)** اخرس يا متبجح.

ملك البرتغال: إنكِ مزعجة.

لابيسابينى : لا تدس أنفك فى كل شىء، إنك ثقيل الظل.

(يدخل صبى الحانة مضطربًا، وبأنفاس لاهثة... رابطًا جبينه بمنديل ملطخ بالدماء... آثار كدمات دموية تملأ وجهه... لحظة من التأثر العميق ارتسمت على جميع الوجوه الموجودة بالمكان.)

السكير : إنهم يلعبون، لقد قررنا رفض التصويت هذا المساء فى مجلس الشعب.

لابيسابينى : كرسبين Crispin، هل لحق بك أذى **(متجهة نحو الصبى)** من أحد اليمينيين المخنثين؟

بيكالا جارتسو: يا بنى تعلم كيف تتكلم. إن الحزب الجمهورى نفسه يعترف بحق الملكية الخاصة، وبأنها شىء مقدس. إن جمعية اليمينيين زاخرة بأعضاء من جميع الفئات والعائلات المحترمة. يجب أن تراعى حديثك أولاً قبل أن تخطئ فى حق هؤلاء.

(خارج الحانة تُسمع أصوات مجموعات صاخبة من الناس. تجري وسط الشوارع رافعة الأعلام... يدخل إلى الحانة بعض العمال الصعاليك... يرتدون ثيابًا بالية... يدخل أيضًا نساء متحمسات ذوات شعر أشعث.)

ملك البرتغال: إنريكيتا، الدماء تغلى فى عروقى، إن لم تكونى على دراية بأمور السياسة ابقى وحدك هنا.

لابيسابينى : أيها المزعج، سأتبعك فى كل مكان، ممرضة مخلصة ومجندة فى الصليب الأحمر.

بيكالا جارتسو: **(يصيح فى صبى الحانة)** أسدل الستائر الحديدية، ومن يريد الشغب فليتفضل إلى الخارج.

(بائعة الورد لابيسابينى وزوجها يخرجان مندفعين نحو الباب الخارجى... تمرد من بعض الزبائن... تجرى قوافل العمال بالشوارع... أصوات تُسمع من الخارج... طرقات الستائر الحديدية تدوى لحظة إغلاقها بجميع المحلات.)

السكير : يحيا أبطال الثانى من مايو.

دون لاتينو : **(لصبى الحانة)** يا بنى، كم أخذت من النقود ثمناً للمعطف؟

صبى الحانة : تسعة بيزيتات.

ماكس : خذ يا فينانسيو ثمن المشروبات، وأنتِ **(متجهًا نحو لابيسابينى)** أعطينى رقم اليانصيب يا إنريكيتا.

دون لاتينو : لقد طارت هذه الصعلوكة من هنا فى لمح البصر.

ماكس : **(بائسًا)** لقد أخذت معها حلم حياتى فى الثراء. أين أستطيع اللحاق بهذه الماكرة؟

بيكالا جارتسو: هذه اللعينة لن تبعد عن هذا الشغب.

صبى الحانة : ستصل إلى قهوة المودرنيستا El Modernista.

ماكس : لاتينو، أعرنى عينيك لأبحث عن هذه السارقة.

دون لاتينو : أعطني يدك يا ماكس.

السكير : إنه عقل متميز.

(يُسمع صوت آتٍ من الشارع يهتف: فليذهب المخنثون التابعون لليمينيين إلى الجحيم... فليسقط اللصوص.)

المشهد الرابع

(فى المساء... دون ماكس ودون لاتينو يترنحان هائمين على وجهيهما... متشابكى الأيدى فى أحد شوارع العاصمة المهجورة والمليئة بالرمال... تفوح منهما رائحة الخمر.

أعمدة الإنارة ملقاة على الأرض... جميع الأبواب والنوافذ مغلقة... مصابيح الأعمدة الملقاة تتناوبها إضاءة مرتعشة... وخفوت صريح... ضوء القمر يغرق أسطح المنازل ومنتصف الشارع.

من وقت إلى آخر يسمع وقع أقدام الجوالة المتحمسين من الرومان... ينعكس ضوء القمر على وجوه ثُلة من الحرس... بعد ذلك يختفى وقع أقدام الدورية.

حانوت الموديرنستاس Modernistas يوارب أبوابه... يتسلل منه شريط من النور ينتهى عند جانب الرصيف.

ماكس ودون لاتينو وقد غلب عليهما السُكر... فى تمايلهما يشبهان فيلسوفين معتوهين تحت ضوء أعمدة الإنارة.)

ماكس : أين نحن الآن؟

دون لاتينو : هذا الشارع ليس له عنوان.

ماكس : أدهس تحت قدمى زجاجًا مكسورًا، إلى أين نحن متجهان؟

دون لاتينو : اتركنى أرشدك.

ماكس : اذهب بى إلى المنزل.

دون لاتينو : نحن الآن أمام حانوت الموديرنستاس المفتوح.

ماكس : أشعر بالموت من كثرة التجوال، ومن كثرة الشرب.

دون لاتينو : قدح من القهوة يجدد لك نشاطك.

ماكس : أشعر بالبرد يا لاتينو.

دون لاتينو : السماء غائمة إلى حد ما.

ماكس : أعطنى معطفك.

دون لاتينو : لقد عاودت هذيانك الشاعرى مرة أخرى.

ماكس : لقد أصبحت دون معطف، دون نقود، ودون ورقة اليانصيب.

دون لاتينو : سوف نقبض على السارقة لابيسابينى هنا.

(تقف لابيسابينى تحت ضوء أحد الأعمدة مع زميلها البائع يتحاسبان... تبدو شاحبة الوجه فى ثياب بالية كصعلوكة من صعاليك مدريد...)

دون لاتينمو : (تنادى) رقم الحظ ٥٧٧٥، يكسب غدًا، من يريد ٥٧٧٥.

دون لاتينو : (مطالبًا إياها بهذا الرقم) تعالى إلى هنا.

لابيسابينى : سوف أحضر وأقدم لك قدحًا من القهوة أيضًا.

دون لاتينو : شكرًا أيتها الجميلة.

لابيسابينى : ودون ماكس أيضًا أقدم له ما يريد، أما وقد اجتمعنا مثل ثلاثة أشخاص من أهل الكهف المحزونين، دون ماكس، فمن أجلك أفعل أى شىء.

ماكس : أعطينى ورقة اليانصيب، واذهبى بعد ذلك للجحيم.

لابيسابينى : دون ماكس، أعطنى النقود التى حصلت عليها فى الخفاء، أين هى؟ هل تخفيها فى محفظتك؟

ماكس : يبدو أنك شقيقة رومانونوس Romanonos[1].

---

[1] رومانونوس Romanonos: شخصية سياسية إسبانية مشهورة فى ذلك الحين، ثرى جدًا، ومعروف لدى الأوساط الشعبية بالبخل الشديد.

لابيسابينى : من يمتلك الملايين مثل هذا القرصان؟!

دون لاتينو : بإيجار يوم واحد عنده أكون سعيدًا بقية عمرى.

ماكس : الثورة هنا عارمة تمامًا مثل ما يحدث فى روسيا.

دون لاتينو : ومع ذلك سنموت دون رؤيتها.

ماكس : إذن، سنحيا قليلاً.

لابيسابينى : هل ذهبتم إلى ميدان سيبلس Cibeles؛ هناك كانت المواجهة على أشدها بين المتظاهرين ورجال الشرطة، ولقد قضينا نحن - المتظاهرين - على بعض هؤلاء الرجال.

دون لاتينو : يجب سحق جميع أعضاء حزب الأحرار.

لابيسابينى : اتفقنا. عندما لا تكونان مشغولين بشكل مُلِح نستعد لذلك يا دون لاتينو.

ماكس : أعطينى تلك الورقة.

لابيسابينى : أعطنى النقود، واستلم الحظ.

ماكس : سأعطيكِ بقشيشًا عندما أحصل على الجائزة.

لابيسابينى : أنا لا أنظر إلى هذه الأشياء.

(باب حانوت الموديرنستاس موارب، ومن هذه المغارة بدأوا فى الخروج، الواحد تلو الآخر... يتسللون فى صف هندى... هؤلاء هم أتباع الحداثة: روفائيل دى لوس فيليبس Rafael de Los Valez، ودوريو دى جاديس Dario de Cadex، ولوثيو فيرو Lucio Vero، وكلارنيتو وبيريث Clarinto y Pérez... بعضهم طويل القامة نحيف ويبدو عليه الحزن... آخرون قصار القامة وغلاظ الوجوه... دوريو دى جاديس بشوش الوجه... متخلف... تهكمى مثل القادم من أثينا... يتأتئ مثل غجرى من جنوب إسبانيا يدلك لحيته.)

دوريو دى جاديس: تحيةً أيها الأب والمعلم الساحر.

ماكس : تحيةٌ لك دوريو دى جاديس.

دوريو دى جاديس: أستاذى، لا تخجل من نهيق الشعب الحر.

ماكس : إنه زئير البحر الملحمى. أشعر أننى الشعب كله.

دوريو دى جاديس: أنا لا أشعر بذلك.

ماكس : لأنك أحمق.

دوريو دى جاديس: أستاذى، دع عنك ثوب السياسة، أنا لا أعتقد أنك تشعر بذلك لأنك شاعر، ونحن - الشعراء -

أرستقراطيون كما ذكر إبسن Ibsen. الجمهور والجبال يجتمعان دائمًا من القاعدة.

ماكس : لا تعكر صفوى بإبسن.

بيريث : هل أصبحت ناقدًا مسرحيًا يا ماكس؟

دوريو دى جاديس: اخرس يا بيريث.

دون لاتينو : هنا فقط لا يتحدث إلا العباقرة.

ماكس : أشعر أننى الشعب بأسره. لقد خلقت لأكون محاميًا ومدافعًا عن حقوق الشعب، وأصبحت مُتدينًا أمارس الترجمة، وأكتب الشعر، هذا صحيح، لكنه أفضل وأشرف مما يفعله أتباع الحداثة.

دوريو دى جاديس: أستاذى، قدّم طلب للسماح لك بالدخول فى الأكاديمية اللغوية عضوًا مشاركًا بها.

ماكس : لا تسخر من هذا أيها الأحمق. إن موهبتى تفوق ذلك بكثير، لكن هذه المؤسسة البائسة تقاطعنى. إنهم يمقتون تمردى وعبقريتى. لكى يعلو شأنك فى هذا البلد لابد أن تحنى رأسك لمن هو دونك، وهذا ما لا أفعله أبدًا.

إن رئيس التحرير يودعنى كما لو كنت خادمًا عنده، والأكاديمية تتجاهلنى، مع أننى شاعر إسبانيا الأول، الأول، وأصوم ولا أبسط يدى طالبًا صدقة، ولا أطلق الرصاص على نفسى، أنا الخالد الحقيقى لهذا البلد، وليس هؤلاء التيوس، تيوس حاشية الأكاديمية، فليسقط ماورا Maura[١].

أتباع الحداثة : ماورا، ماورا، ماورا.

كلارينتو : أستاذنا، نحن – الشباب – سوف نجبرهم على ترشيحك لتحصل على مقعد فى الأكاديمية.

دوريو دى جاديس: وبالأخص الآن، وقد خلا مقعد دونَ بنيتو جالدوس بعد موته.

ماكس : سوف يرشحون سارهنتو Sargento Basallo.

دوريو دى جاديس: أستاذنا، هل علمت آخر نوادر الإنانو دى لافنيتا El Eneno de la Venta[٢] لقد التقيناه أمس وفضحنا أمره فى ميدان الشمس عند الفجر.

---

(١) ماورا Maura: سياسى إسبانى مستبد.

(٢) الإنانو دى لافنيتا El Eneno de la Venta: اسم مستعار لشخصية فلكلورية مشهورة بالتبجح والتفاخر.

لابيسابينى : وكأنه روفائيل إلجايو Rafael el Gallo[(١)].

كلارنيتو : يقال إن دورية الحكومة قد انتشرت بالخارج.

دون لاتينو : يجب أن تقيموا حفلة موسيقية لأستاذنا.

دوريو دى جاديس: اخرس دون لاتينو. ليس الآن.

بيريث : **(متجهًا نحو دون لاتينو دون مراعاة لدوريو دى جاديس)** اشدُ معنا يا دون لاتينو.

دون لاتينو : **(معقبًا)** صوتى يفسد لكم النوتة الموسيقية لأنه أردأ من صوت الخنزير.

دوريو دى جاديس: **(لدون لاتينو)** أنت كلاسيكى.

دون لاتينو: وماذا يفعل هذا الكلاسيكى وسط ضجيج بلابل الحداثة.

(دوريو دى جاديس قبيح الوجه... يدعو إلى السخرية... أحدب الظهر... يفتح ذراعيه اللتين تشبهان جناحى طائر منتوف الريش تحت ضوء القمر.)

دوريو دى جاديس: إلانانو دى لافنيتا.

كورال الحداثة : **(فى صوت مُنغم مسجوع)** كونيتا، كونيتا، كونيتا.

---

(١) روفائيل إلجايو Rafael el Gallo: مصارع ثيران مشهور، ومعروف بهروبه من الحلبة عند تعرضه لهجوم من قبل الثور.

دوريو دى جاديس: بكل تبجح المدعى الشجاعة وتفاخره.

كورال الحداثة : جاعة، جاعة، جاعة.

دوريو دى جاديس: يريد التحكم فى العسكرية الإسلامية.

الكورال : ميّه، ميّه، ميّه.

دوريو دى جاديس: إنه تارتوفو مالسين Tartufo Malsin.

الكورال : سين، سين، سين.

دوريو دى جاديس: بدون أى اتزان عقلى.

الكورال : لى، لى، لى.

دوريو دى جاديس: إنه بالفعل أجوف العقل.

الكورال : عقل، عقل، عقل.

(يقطع هذا الضجيج صوت موكب دورية جنود الرومان التى تخرج من شارع فرعى... يأتى هؤلاء الجنود ومعهم ضوء القمر فوق خوذاتهم وأسلحتهم... صفارات الإنذار تقتحم الآذان... باب الحانة يوصد على عجل... يقف على حافة الرصيف قائد فرسان حرس المرور بيتيتو Pitito.)

كابتن بيتيتو : غير معقول، لا أصدق أن حضراتكم وأنتم مثقفون تثيرون كل هذه الضجة، ماذا تركتم للأميين الجهلة؟

ماكس : إيبوريكا، إيبوريكا Eureka باليونانى تعنى: "منقار من الذهب"، ولمزيد من الإيضاح كريسوستمو crisostomo سيادتكم تتحدث اليونانية بلهجاتها الأربع.

كابتن بيتيتو : أمامى إلى القسم أيها السكير.

ماكس : أنا أيضًا أستطيع إلقاء خطب أدبية أيها القائد، وأدرك ذلك تمامًا.

كابتن بيتيتو : **(لأحد الجنود)** سيرينو، سيرينو.

الجندى : أمرك يا سيدى.

كابتن بيتيتو : تولّ أمر هذا السكير.

(يأتى الجندى بكرباج يتراقص بين يديه... رائحة الخمر تفوح فى كل مكان...

الكابتن بيتيتو يمتطى حصانه... تتطاير شظايا نارية من حدوات حصانه... صوت الدورية يبتعد رويدًا رويدًا.)

كابتن بيتينو : أخبرنى فيما بعد بما تم فى أمر هذا الرجل.

الجندى : هل أعطيه نشادر؟

كابتن بيتيتو : يجب ضربه.

الجندى : سمعًا وطاعة.

دون لاتينو : **(متوجهًا نحو ماكس)** ادعه إلى شرب كأس. لابد من ترويض ساكن الكهوف واستئناسه **(مشيرًا إلى الجندى)**.

ماكس : عدتُ لا أمتلك مليمًا واحدًا.

دون لاتينو : لم يتبق معك أى شيء؟

ماكس : أى شيء.

الجندى : تحرك أمامى.

ماكس : إننى مكفوف البصر.

الجندى : هل تريد منى أن أعيد إليك بصرك بطريقتى الخاصة؟

ماكس : هل أنت سانتا لوتشيا Santa Lucia؟

الجندى : أنا السلطة.

ماكس : لا؛ هذا أمر يختلف.

الجندى : قلت لك تحرك أمامى.

ماكس : لقد ذكرت لك أننى مكفوف البصر.

الجندى : إنك فوضوى، وهذه الأشياء التى تتحلى بها من لحية طويلة وادعاء الوقار أشياء نعرفها جيدًا.

دون لاتينو : **(صارخًا فى وجه الجندى)** عاصفة.

الجندى : اذهب إلى الخلف.

يتردد صوت مريدى ماكس: سوف نصطحب أستاذنا، سوف نذهب معه.

الجندى : تفرقوا دون تجمهر أو تظاهر.

(تُسمع طرقات بالكرباج على باب الحانة... يطل صاحب الحانة برأسه... ممتلئ الجسم... يرتدى مريلة بيضاء... يخبرهم بشىء ما... بعد قليل يخرج من الحانة وينصرف حارسان وقد غلب عليهما النعاس.)

الحارس : ما هذا؟

الجندى : هذا الصعلوك مطلوب فى القسم.

الحارس الآخر : سنقدمه إلى وزارة الداخلية بدلاً من القسم.

الجندى : أين ينام؟

الحارسان : **(يتجهان نحو أصدقاء ماكس)** انصرفوا أيها السادة.

دوريو دى جاديس: سنرافق أستاذنا.

أحد الحراس : **(معقبًا على مصاحبتهم صديقهم الشاعر ماكس):**

وكأن هذا السكير (يقصد ماكس) دون ماريانو دى كافيه Don Mariano de Cavia[1]. هذا الكاتب يبدو أنه ذو عقل متميز، وكلما كان أكثر سكرًا أنتج أفضل.

الحارس الآخر : أحيانًا يرتكب بعض الحماقات.

دون لاتينو : وعدم الاحترام.

الحارس : يبدو أنك تعرفه جيدًا.

دون لاتينو : وأتعامل معه دون كُلْفة.

الحارس الآخر : هل أنتم صحفيون؟

---

[1] ماريانو دى كافيه Mariano de Cavia: صحفى إسبانى مشهور بكتابة مقالات ذات طابع لغوى، ومشهور أيضًا بولعه بشرب الخمر، وتمنح صحيفة A. B. C اليومية بمدريد جائزة سنوية باسمه لأحسن عمل صحفى.

دوريو دى جاديس: يا لطيف، يا لطيف.

لابيسابينى : (ساخرة) إنهم يعملون بالصرافة.

أحد الحراس : إذا كنتم تريدون صحبة صديقكم الشاعر لا تخالفوا القوانين، وانتظروا حتى يؤذن لكم. يجب عليكم التزام الهدوء، فأنا أيضًا أحترم الموهبة كثيرًا.

ماكس : لاتينو، أعطنى يدك، أيها السادة الحراس اعذرونى لأننى ضرير.

أحد الحراس : (ساخرًا منه) كفى تشدقًا بالسياسة.

دون لاتينو : إلى أى طريق نتجه؟

أحد الحراس : إلى وزارة الداخلية.

الحارس الآخر : خى، خى.

ماكس : ماورا، ماورا، ماورا، المنافق الكبير.

الكورال : ماورا، ماورا، ماورا.

ماكس : تبًا لهذا اليهودى، ولكل أقاربه البُغَضَاء.

أحد الحراس : كفى صياحًا، انتبهوا، فالموقف الآن أصبح لمصلحة الشاعر المخمور.

(ويطلق الحارس عبارة لتلطيف الموقف: **Me caso en Sevilla**[1]
وهى تعنى: سأتزوج فى إشبيلية).

الحارس الآخر : (متعاطفًا مع ماكس) هذا المسكين سيُضرب - يا للأسف - لأنه رجل ذو موهبة.

---

[1] Me caso en Sevilla: عبارة يطلقها سكان مدريد عندما يريد أحدهم أن يلطف الموقف لإخفاء العنف المتوقع. وإشبيلية مدينة فى جنوب إسبانيا.

المشهد الخامس

(مدخل وزارة الداخلية... كومة من الأوراق... الأرائك بجوار الجدران... مائدة مغطاة بفراء شعر مجعد... المنظر يبدو مثل كهف تفوح منه رائحة تبغ معتق... حراس يغلبهم النعاس... رجال أمن بريهاتهم وعصيهم... ياقات قمصان منشاة من القطن الفاخر... خواتم كبيرة... نظارات فاخرة لامعة.

عجوز مبتذل... ذو شعر مستعار وفروة وغطاء لليدين من القطن الأبيض... هذا العجوز ينسخ ما يمليه عليه صعلوك متبجح ذو شعر لامع مصفف... تفوح من الصعلوك رائحة العطر... يقطع الحجرة جيئة وذهابًا واضعًا فى فمه سيجارة مبلّلة... إنه دون سيرافين Don Serafin، هكذا يطلق عليه محبوه، أما عامة الناس فيسمونه: سيرافين ألبونيتو Serafin al Bonito[1]... يسمع صياح جمهرة قليلة من الناس... ماكس يقتحم المكان برأس عارٍ وملامح فكاهية مجنونة... يمسك بذراعى دون لاتينو... يتوسل ويتنهد... من الخلف تطل خوذات الجنود... فى الممر يتجمع أصدقاء ماكس

---

[1] Serafin al Bonito: تعبير ساخر يعنى "سيرافين الحلو".

تحت ضوء إحدى الشموع بغليوناتهم... تتدلى أربطة أعناقهم ولحياتهم.)

ماكس : (ساخرًا) أحضر معى اثنين من الجنود مقبوضًا عليهما، كانا مخمورين بأحد المطاعم الشعبية، وطلبت منهما أن يقفا (انتباه).

سيرافين : سيدى، احترم نفسك.

ماكس : لم أخطئ فيهما يا سيدى المبعوث.

سيرافين ألبونيتو: مُخبر لو سمحت.

ماكس : لا فرق.

سيرافين ألبونيتو: ما اسمك؟

ماكس : اسمى ماكس إستريا، واسم الدلع إستريا الردىء، ولى الشرف ألا أكون أكاديميًا.

سيرافين ألبونيتو : لقد تجاوزت حدودك.

(يتّجه إلى جنوده) أيها الجنود، ما تهمة هذا الرجل؟

أحد الحراس : ضُبط يرتكب فعلاً فاضحًا فى الطريق العام، ويردد هتافات اشتراكية وهو مخمور.

سيرافين ألبونيتو : **(متجهًا نحو ماكس)** ما مهنتك؟

ماكس : أنا عاطل عن العمل.

سيرافين ألبونيتو : فى أية جهة حكومية كنت تعمل من قبل؟

ماكس : لم أعمل فى أى مكان.

سيرافين ألبونيتو : ألم تقل إنك عاطل؟!

ماكس : عاطل عن كل شيء... عن حرية الإنسان... عن حرية الطير الطليق، ألا ترانى مُكدرًا... مُهانًا... مسجونًا... مساءلاً؟

سيرافين ألبونيتو: أين تقطن؟

ماكس : باستر ديوس، عطفة سان كوسمى، قصر Bastar .dillos. Esquina a San Cosme. Palacio

أحد الحراس : اذكر لنا اسم منزل أحد الجيران؛ لأن زوجتى كانت تقطن حجرة بأحد الأسطح فى تلك الضيعة السابق ذكرها قبل زواجنا.

ماكس : أينما أقطن يكن دائمًا قصرًا.

أحد الحراس : (مستهزئًا) يا..؛ أنا لا أرى ذلك.

ماكس : لأنك أيها الحارس البيروقراطى لا تفقه شيئًا، ولا تستطيع حتى أن تحلم.

سيرافين ألبونيتو: (**لماكس**) ستبقى معنا مقبوضًا عليك.

ماكس : (**لدون لاتينو**) حسنًا لاتينو، هل هنا منضدة لأستطيع النوم؟

سيرافين ألبونيتو: الناس عادة لا يأتون هنا ليناموا.

ماكس : لكنَّ النعاس يغلب علىَّ.

سيرافين ألبونيتو: هل تخالف أوامرى؟ ألا تدرى من أنا؟

ماكس : (**مستهزئًا**) إنك سيرافين ألبونيتو.

سيرافين ألبونيتو: كيف تجرؤ على ذلك؟ لأصفعنك لو قلتها مرة أخرى.

ماكس : حاول، وسوف تعرف من أنا. إننى شاعر إسبانيا الأول، ولى تأثير فى جميع الصحف، وأعرف الوزير شخصيًا، كنا زملاء فى الماضى.

سيرافين ألبونيتو: السيد الوزير لا يعرف صعاليك مثلك.

ماكس : أنت تجهل التاريخ الحديث.

سيرافين ألبونيتو: فى حضورى لن أسمح أبدًا بإهانة دون باكو Don Paco، أى الوزير، ولعلمك دون باكو هو أبى.

ماكس : لا أعتقد ذلك، اسمح لى أن أحادثه تليفونيًا.

سيرافين ألبونيتو: (ساخرًا) ستحادثه سيادتك من السجن؟!

دون لاتينو : (يتدخل فى الأمر) يا حضرة المخبر، قليلاً من التقدير من فضلك، إنك تتعامل مع شخصية قومية خالدة. إنه ڤيكتور إيجو إسبانيا [1] Victor Hugo.

سيرافين ألبونيتو: اخرس أنت.

دون لاتينو : آسف لتدخلى يا سيدى.

سيرافين ألبونيتو: (ساخرًا) لو أردت مصاحبته لك عندنا مكان.

أحد الحراس : (للحرس) اسحبوا هذا السكير إلى رقم ٢. (لماكس) أمامى.

ماكس : لا أريد.

سيرافين ألبونيتو: اسحبوه غصبًا.

حارس آخر : صعلوك حقير.

---

(١) Victor Hugo: شاعر فرنسى مشهور.

ماكس : سيقتلونني، سيقتلونني.

(يسمع صوت أحد أصدقاء ماكس) همجيون.

دون لاتينو : إنه فخر قومي خالد.

سيرافين ألبونيتو : لا احتجاج هنا، انصرفوا جميعًا.

أحد أصدقاء ماكس: تحيا المحكمة الدينية La inquisición[1].

سيرافين ألبونيتو : هدوءًا وإلا سنقبض عليكم جميعًا.

ماكس : سيقتلونني، سيقتلونني.

الحراس : صعلوك، حقير، مخمور.

أصدقاء ماكس : لابد من زيارة دور التحرير.

(يخرج فريق الأصدقاء، تتطاير أربطة أعناقهم... ينبعث رنين صفعات وأصوات من خلف باب السجن.)

سيرافين ألبونيتو : هؤلاء الصبية يعتقدون أننا نوزع الحلوى هنا.

---

[1] La inquisición: محكمة دينية تدين الخارجين على الدين الكاثوليكي.

المشهد السادس

(داخل السجن... نفق ردىء الإنارة... تضيئه شمعة واحدة... فى الظل يُرى شبحَ رجل مُكمّم... يرتدى قميصًا... ينتعل حذاء رديئًا... يروح ويجىء محدثًا نفسه...

فجأة... يفتح الباب فيُدفع ماكس إستريا إلى الداخل، ويلقى على الأرض متدحرجًا من قاع السجن... يغلق الباب محدثًا صوتًا حادًا عاليًا.)

ماكس : أوغاد، مأجورون، جبناء.

(صوت من الخارج): ستُضرب بالعصا.

ماكس : **(مناديًا)** مأمور، مأمور.

(ينشق الظلام عن شبح الرجل السجين مع ماكس فى الزنزانة نفسها... يُلاحظ تحت ضوء الشمعة أن الشبح مكبل اليدين، ووجهه ينزف دمًا.)

السجين : مساء الخير.

ماكس : ألست وحدى؟

السجين : أتصور ذلك.

ماكس : من أنت يا صاحبى؟

السجين : أحد المنبوذين.

ماكس : قطالونى من شمال إسبانيا؟

السجين : من كل مكان.

ماكس : منبوذ... عمال قطالونيا فقط هم الذين يرون أنهم منبوذون بسبب تمردهم.

السجين : جلىّ أن سيادتك تتمتع بزهو لا يتوافر عند كل الناس. برشلونة أيضًا تصحو وتنام على جذوة الحقد والكراهية، أنا عامل من عمال برشلونة، وأفتخر بذلك.

ماكس : هل أنت فوضوى؟

السجين : أنا الذى من أجله سنّوا تلك القوانين.

ماكس : إذن كلانا يتبَع كنيسة واحدة.

السجين : سيادتك ترتدى رباط عنق.

ماكس : حبل المشنقة من أبشع أنواع العبودية، سأنزعه لكى نتحدث.

السجين : سيادتك لست من الطبقة الكادحة.

ماكس : إننى شاعر كفيف.

السجين : المصيبة ليست هينة... فى إسبانيا ينظر دائمًا إلى العمل والذكاء باحتقار، كل شيء هنا يحكمه المال.

ماكس : لابد من قطع الرقاب بالكهرباء فى ميدان الشمس.

السجين : لا يكفى هذا. الثورة المثالية لابد أن تحطم الفوارق المالية بين الناس. لا يكفى شنق كل الأغنياء، دائمًا سيظهر لهم وريث، وحتى لو حرم ورثة الأغنياء من تركتهم فلن نستطيع تجنب خطرهم؛ لأنهم سيتآمرون دائمًا ليستردوا تلك التركة. يجب علينا أن نكافح من أجل تحقيق مطالبنا، وسنحصل عليها فقط بالقضاء على الرأسمالية.

برشلونة الصناعية لابد أن تنتهى، وعلى أنقاضها تبنى برشلونة جديدة بمفهوم آخر للملكية والعلم.

فى أوروبا صاحب العمل الأكثر خشونة هو القطالونى، ولا أقول فى العالم لأنه ليست هناك مستعمرات إسبانية فى أمريكا. برشلونة سوف تُنقذ بهلاكها.

ماكس : برشلونة هى حبة قلبى.

السجين : أنا أيضًا أتذكرها.

ماكس : أنا مدين لها بلحظات الفرح والبهجة الوحيدة وسط ظلام الدنيا فى عينى.

كل يوم، يموت صاحب عمل، وفى بعض الأحيان اثنان... هذا يدعونا إلى الاطمئنان.

السجين : سيادتك لا تحصى العمال الذين يتساقطون.

ماكس : العمال يتكاثرون تلقائيًا مثل الذباب، ومن ناحية أخرى، فإن أصحاب العمل كالأفيال، مثلهم مثل الوحوش البدائية المتسلطة، يتناسلون ببطء، ساولو Saulo(١). يجب انتشار الدين الجديد فى العالم.

السجين : اسمى ماثيو Mateo.

ماكس : سأعمدك باسم ساولو، أنا شاعر ولى الحق فى تغيير الأسماء، انتظر حتى يطلق سراحك يا ساولو. مطاردة جيدة، من المحتمل أن ترفع ثمن جلد رئيس قطالونى أكثر من ثمن عاج أفيال كلكتا.

السجين : سوف نعمل على تحقيق ذلك.

---

(١) ساولو Saulo: شخصية تاريخية دينية، اسمه الحقيقى سان بابلو San Pablo. وهو أول من وضع نظامًا دينيًا ومذهبًا كاثوليكيًا.

ماكس : الشيء الوحيد الذى يطمئننى هو أننا ما زلنا نستطيع التفكير فى أنه بإبادة الطبقة الكادحة، نستطيع أيضًا إبادة رئيس العمال.

السجين : يتخلصون من المدينة بأسرها. سنتخلص من يهود برشلونة.

ماكس : موافق. برشلونة السامية، ستتحطم مثل قرطاج والقدس Alea Jacta est. أعطنى يدك.

السجين : إننى مكبل اليدين.

ماكس : هل أنت شاب؟ لا أستطيع أن أراك.

السجين : نعم، عمرى ثلاثون عامًا.

ماكس : ما الاتهام الموجه إليك؟

السجين : إنها قصة طويلة، متهم بالتمرد، لقد رفضت ترك المصنع من أجل الذهاب إلى الحرب، وناديت بذلك فى المصنع... اتهمنى الرئيس... وأتممت عقوبتى.
بحثت عن عمل فى كل مكان، الآن أنا عابر سبيل وموضع اتهام، لا أدرى لأى سبب.. أعرف المصير الذى

ينتظرنى... أربع طلقات فقط يصوبونها نحوى بحجة محاولة الهرب، إن لم يكن أكثر من ذلك.

ماكس : ولماذا أنت خائف؟

السجين : إنهم يجدون لذة فى إرهابى.

ماكس : همجيون.

السجين : يجب معرفة ذلك.

ماكس : أوغاد، هؤلاء الذين يحتجون على الأسطورة السوداء.

السجين : من أجل ست بيزيتات، لمجرد عبور طريق مقطوع يقضون على حياتى. من المفروض أن يحافظوا على الشعب ويدافعوا عنه، ثم يصفوا أفعالهم بالعدالة. أية عدالة تلك؟ عدالة الأوغاد الأغنياء.

ماكس : أغنياء فقراء، الوحشية الإيبرية تفاقمت.

السجين : نعم كلهم.

ماكس : كلهم ماثيو، أين توجد القنبلة التى تسحق هذه الأرض الإسبانية الملعونة.

السجين : سيدى الشاعر، أعتقد أنى رأيت يدًا مرفوعة.

(يفتح باب السجن... فى تبجح واضح يأمر الحارس الأشقر السجين المكبل باتباعه).

الحارس : أنت قطالونى، اعتدل.

السجين : إننى معتدل.

الحارس : إذن تحرك.

(الحارس ينهر السجين ساخرًا)

أيها الأندلسى ستخرج معى للنزهة.

(يستسلم السجين المكبل اليدين للحارس، ويقترب من ماكس لامسًا كتفه مودعًا إياه بكلمات معدودة وصوت معتدل.)

السجين : لقد حانت ساعتى... أعتقد أننا لن نلتقى مرة أخرى.

ماكس : هذا شىء فظيع.

السجين : سيقتلوننى... يا تُرى؟ ماذا ستقول هذه المؤسسة الوغدة فى الغد؟

ماكس : تقول ما يأمرونها به.

السجين : هل تبكى؟

ماكس : أبكى عدم قدرتى وغضبى، سنتعانق أيها الأخ.

(يتعانقان... يخرج السجين والسجان... يُغلق الباب من جديد... يحاول ماكس إستريا البحث عن الجدار... يجلس القرفصاء فى وضع روحى بتأمل آسيوى.

شبح الشاعر الكفيف يعتصر ألمًا.

تأتى من الخارج أصوات جمهرة كبيرة وعدو جياد.)

المشهد السابع

(جريدة البوبولار (El Popular)[1]... صالة التحرير تتوسطها منضدة مستطيلة سوداء اللون محاطة بعدة مقاعد خالية... بجوارها سجادة صغيرة... على حافة المنضدة أكوام من الأوراق ناصعة البياض تبرق تحت ضوء الأباجورة المجاورة لتلك الأكوام.

فى مكان ما من الصالة يجلس رجل أصلع... يكتب ويدخن... تنطفئ سيجارته فيشعلها مرة أخرى... إنه المحرر العظيم ذو الوجه الحزين والمعطف ذى المريلة... صاحب الأصابع الخطافية ذات الأظافر التى تشوبها آثار الحبر... إنه الرجل العظيم صاحب الفكر المرتّب دون فيليبرتو Filiberto.

يُفتح باب زجاجى... رنين أحد الأجراس يشق الصمت... يطل الساعى من الباب... إنه رجل عجوز... سيئ الأخلاق... ذو شارب كث... ضخم البنية مثل أولئك الجنرالات الشجعان الذين يتساقطون من فوق أحصنتهم فى أثناء السباق.)

---

[1] Redacción El pupular مقر صحيفة مشهورة بإسبانيا.

الساعى : **(مخاطبًا فليبرتو)** دون لاتينو اسباليس ورأسماليون آخرون من أتباعه يسألون عن السيد مدير التحرير، وأخبرتهم أنه لا يوجد غيرك سيدى بالدار.

دون فليبرتو : أدخلهم.

(ويستمر فى الكتابة... يخرج الساعى تاركًا وراءه الباب الزجاجى الأخضر متأرجحًا يذكرنا بلعبة الروليت.

دخل بعد ذلك أتباع الحداثة بشعورهم المجعدة، وغليوناتهم ومعاطفهم ذات الوبر المنحول، وبعض البيريهات... يقف الصحفى الأصلع ويمعن فى النظر بجد تاركًا سيجارته ومعلقًا نظارته فوق صدره.)

دون فليبرتو : حضرات السادة الكرام تفضلوا، ماذا تريدون منى ومن الصحيفة؟

دون لاتينو : حضرنا هنا لتقديم احتجاج على ظلم كبير وقع لماكس إستريا، الشاعر العظيم، رغم أنف الكثيرين الذين لا يعترفون به. لقد احتجز فى

أحد البدرومات بوزارة العبث[١]، وعومل بوحشية.

دوريو دى جاديس : **(ساخرًا من السلطة)** ما زال كارلوس الثانى Carlos II[٢] يتربع على العرش فى إسبانيا.

دون فليبرتو : يا مغيث، هل كان شاعرنا العظيم مخمورًا؟

دون لاتينو : كأس واحدة من الخمر لا تبرر هذا الاعتداء على الحقوق الفردية.

دون فليبرتو : ماكس إستريا صديقنا جميعًا، أيا مغيث. ما دام مدير التحرير لم يحضر الصحيفة حتى الآن، فالأرجح أنه لن يأتى، وحضراتكم تعلمون جيدًا كيف يتم تجهيز صحيفة من الصحف. مدير التحرير دائمًا طاغية؛ لذلك لا أستطيع نشر احتجاجكم دون الرجوع إليه. أنا لا أعرف سياسة الصحيفة مع إدارة الأمن، لكن مقالكم بصراحة يبدو لى أنه مبالغ فيه...

---

[١] يقصد وزارة الداخلية.

[٢] كارلوس الثانى Carlos II: ملك إسبانيا الذى حكم البلاد خلفًا لوالده فيليب الرابع عام ١٦٦٥ تحت وصاية والدته، واشتهر بمرضه وعدم قدراته على الحكم، وجلب لإسبانيا كوارث عدة.

كلارنيتو : هذا جُبن.

بيريث : يا للعار.

دون لاتينو : ابتذال.

دوريو دى جاديس: فيليب الثانى، يحكم دائمًا فى إسبانيا.

دون لاتينو : دوريو، لن يستطيعوا إبادتنا يا بنى.

دون فليبرتو : أيها الشباب، صبرًا جميلاً من فضلكم، فأنتم الكنز الإلهى على حد تعبير روبين داريو Rubén Dario، شاعر نيكاراجوا (Nicaragua)، أنا أيضًا أحب القراءة، وفى بعض الأحيان أبدى إعجابى بعباقرة الحداثة، إلى درجة أن مدير التحرير يتهكم علىّ أحيانًا بقوله لى "لقد أصابتك العدوى".

هل قرأ أحدكم القصة القصيرة التى نشرتها فى مجلة الأوربس Los orbos.

كلارنيتو : لقد قرأتها وأعجبت بها يا دون فليبرتو.

دون فليبرتو : وأنت يا صديقى ريو؟

دوريو دى جاديس: أنا لا أقرأ للمعاصرين.

دون فليبرتو : (ساخرًا) لا أريد أن أرد عليك بأنك تجهل الكلاسيكيين أيضًا.

دوريو دى جاديس: (مشيرًا إلى قشر الرأس الذى يملأ ياقة معطف فليبرتو) سيادتك مثلى تمامًا، كلٌ منا تخر منه العبقرية، كل منا يحمل العبقرية فى ياقة معطفه.

دون فليبرتو : **(مشيرًا إلى ملابس دوريو الجميلة)** اكتشفت أنك أيضًا شاب جميل.

دوريو دى جاديس: إنك سليط اللسان يا دون فليبرتو.

دون فليبرتو : لقد أرغمتنى على ذلك.

دوريو دى جاديس: ليس إلى هذا الحد.

كلارنيتو : دوريو، لا تمزح باللاتينى البدائى هكذا.

دون فليبرتو : صديقى دوريو، إننى من الذكاء بحيث تظهر صفاتى ومواهبى المتعددة كلٌ فى حينها، وهذا شىء ضرورى فى عالم الصحافة، لا أقصد بذلك صحافة اليوم فقط، كنت فى صحبة سيلڤيلا Silvela[1] فى إحدى المآدب، وتظاهرت

---

[1] سيلفيلا Silvela: اسمه الحقيقى فرانسيسكو سيلڤيلا، وهو رئيس حزب المحافظين حتى عام ١٩٠٣م.

بالبلاغة عندما منحت جائزة فى احتفالات زهور مالجه Malaga[١] الجميلة.

نارثيسو دياز Narciso Diaz كان دائمًا يتذكر تلك البطولة التى نشرت فى صحيفة الهيرالدو El Heraldo، وأعترف لكم بأننى لم أكن دون المستوى، لقد ذكر مفهومى للصحافة. هل تعرفونه حضراتكم؟ سأقوله لكم على أية حال.

الصحفى كالنائب البرلمانى، والمجلس البرلمانى عبارة عن دار تحرير كبيرة، ومن ناحية أخرى، فإن الصحافة خبث و"شيطنة"، تمامًا مثل السياسة، تحمل الإطار نفسه في مواقع مختلفة.

بإمكانى شرح مفهوم الصحافة لكم أيضًا بطريقة التصوف إذا كنتم على دراية بمذهب الكرما النبيل[٢]Karma.

دوريو دى جاديس: نحن لا نعلم شيئًا عن هذا، لكنى أعتقد أن الذى يفهم شيئًا ما من هذا هو دون لاتينو.

---

[١] مالجه Malaga: مدينة إسبانية كانت تعرف فى أثناء حكم العرب بـ: ملقا.

[٢] الكرما Karma: مذهب تصوفى لنظرية السببية.

دون لاتينو : **(بكل زهو)** أكثر من أى شىء يا بنى، أكثر من أى شىء، حضراتكم لا تعلمون المفهوم الحقيقى لاسمى المستعار، أنا لاتينو حسب الماء الذى عُمِّدْتُ به، أنا لاتينو دى اسباليس لميلادى فى وادى النهر الكبير بالأندلس، ولاتينو بجولاتى فى الحى اللاتينى بباريس، ولاتينو فى حكايات التفسير الغامض عند اليهود تعنى فى مجال السحر: "مختص بالأحلام". أنت أيضًا يا دون فليبرتو تلتمس شيئًا من هذا السحر والتكهن.

دون فليبرتو : دون لاتينو، لا تخطئ، إنه شىء جاد، إننى منصرف.

دون لاتينو : أنا لا أدرى ما أنا عليه.

دون فليبرتو : يبدو ذلك.

دوريو دى جاديس: (متجهًا نحو دون لاتينو) إنك صعلوك من مدريد.

دون لاتينو : **(مازحًا)** دوريو، لا تسرف فى إظهار ذكائك. بين الأصدقاء تكفى علبة سجائر واحدة، هيا أعطنى سيجارة.

دوريو دى جاديس : لا أدخن.

دون فليبرتو : وتلك فاحشة أخرى. ماذا تفعل؟.

دوريو دى جاديس: أغتصب خادمات.

دون فليبرتو : هل هو ممتع؟

دوريو دى جاديس: طبعًا له متعته يا دون فليبرتو.

دون فليبرتو : على ذلك أنت أب لكثير من الأطفال.

دوريو دى جاديس: لا، فإنى أرغمهن على الإجهاض.

دون فليبرتو : أنت بذلك قاتل أطفال أيضًا.

بيريث : صندوق ذنوبك ممتلئ.

دوريو دى جاديس: لا تتدخل فيما لا يعنيك يا بيريث... دون فليبرتو من مشجعى مذهب مالتوس[١].

دون فليبرتو : هل تسجل هؤلاء فى بطاقتك الشخصية؟

دوريو دى جاديس: عندى قائمة تفصيلية بذلك فى منزلى.

---

[١] Maltusiano: نسبة إلى مالتوس؛ الاقتصادى الإنجليزى الذى نصح بتحديد النسل كى يتجنب العالم الفقر.

دون لاتينو : وهكذا نقلب القدر الفارغ، نحن الإسبان نعزى أنفسنا بالجوع وبالحكومات الرديئة.

دوريو دى جاديس: وبالفكاهيين هابطى المستوى، وبالفكاهة الرديئة... وبهيئة المواصلات، وبتعبيد الطرق الردىء.

بيريث : أنت رافض للشعائر الدينية، وضد تقديسها.

دوريو دى جاديس: (**لبيريث**) أنصت باحترام، ولا تتكلم.

دون فليبرتو : فى إسبانيا يحتمل أن يشح الخبز، لكن العبقرية الإسبانية والفكاهة ليست لهما حدود.

دوريو دى جاديس: هل تعلم من أول فكاهى إسبانى؟

دون فليبرتو : حضرات المتصوفين، ربما تقولون إنه دون ميخائيل أونامونو Miguel de Unamuno[١].

دوريو دى جاديس: لا يا سيدى، أول فكاهى هو دون ألفونسو الثالث عشر Don Alfonso XIII.

دون فليبرتو : فعلاً، إنه يتمتع بحيوية أهل مدريد البربونيين.

---

[١] دون ميخائيل أونامونو Don Miguel de Unamuno: ميخائيل أونامونو: فيلسوف إسبانى معاصر، أحد رواد جيل ٩٨ الشهير فى إسبانيا.

دوريو دى جاديس: الفكاهى الأول، دون فليبرتو، الأول هو دون ألفونسو الذى فاق كل التصورات عندما نصّب جارثيا بريتو Garcia Prieto[1] رئيسًا لمجلس الشورى.

دون فليبرتو : هنا يا صديقى الشاب لن تستطيعوا التفوه بهذه الشتائم؛ لأن صحيفتنا تصدر بمساندة من دون مانويل جارثيا بريتو. أعترف أنه ليس رجلاً لامعًا، ولا خطيبًا مفوهًا؛ لكنه سياسى جاد.
وفى النهاية نعود لموضوع صديقنا إستريا، أنا لا أستطيع أن أتحدث إلى مكتب الوزير الخاص، هناك غلام أقام دعوى ضدنا من قبل. سأطلب الاتصال فقط. يا إلهى، ماكس إستريا، إنه من الأساتذة الذين يستحقون شيئًا من التقدير. ماذا ترك هؤلاء السادة للمتبجحين حاملى الخناجر؟!
ماكس إستريا سيظل كما هو عليه.

دون لاتينو : سيظل لامعًا دائمًا.

---

[1] جارثيا بريتو Garcia Prieto: سياسى إسبانى مشهور.

دون فليبرتو : إنه موقف محزن.

دون لاتينو : ليس من العدل أن أتركه. سوف أصطحبه لأقص عليكم أيام باريس. هل تعرف سيادتك باريس؟ لقد ذهبت إلى باريس مع الملكة دونيا إيزابيلا. كتبت من هناك دفاعًا عنها، وترجمت بعض الكتب لدار نشر جارنيير Garnier[1]، وشغلت منصب المحرر المالى لمجلة "قيثارة أمريكا اللاتينية"، مجلة عظيمة، دائمًا كان اسمى المستعار هو لاتينو دى إسباليس.

(يدق جرس التليفون... دون فليبرتو الصحفى الأصلع والمزكوم... الرجل المنطقى الأسطورى والمعروف لكل دور التحرير يطلب محادثة وزير الداخلية من مكتبه الخاص... يسود الصمت المكان... يُسمع بعد ذلك: همس، ضحكات خفيفة، بعض النكات بصوت خفيض... دوريو دى جاديس يجلس على مقعد مدير التحرير واضعًا ساقيه فوق المنضدة، وفى قدميه حذاء ممزق... يخرج تنهيدة عالية.)

---

[1] جارنيير Garnier: معمارى فرنسى بنى دار الأوبرا بباريس.

دوريو دى جاديس: سأكتب مضمون المقال شارحًا خطاب رئيسنا الذى كان تحت عنوان "كل الجهود الحيوية للدولة مشلولة تمامًا". لقد كان صديقنا اللامع الماركيز الؤوثيماس El Marqués Alhucemas يهتف فى حماسة خطابية هائلة، وكانت الغرفة تضج بالتصفيق لعمق المفهوم الذى كان لا يقل عمقًا عن خطابه الآخر "الآن بدأت الصخور تبعد تحت الماء".

كل هذه المقالات تتلخص فى هذا المعنى: "سانتياجو وتنفتح إسبانيا على التقدم والحرية".

(يترك دون فليبرتو سماعة التليفون... يوجد وسط الصالة... يغطى صلعته بيديه الصفراوين والملطختين بالحبر... إنهما تشبهان أيدى هيكل عظمى لكاتب عمومى فى يوم الآخرة المقدس.)

دون فليبرتو : **(متجهًا إلى دوريو دى جاديس)** هذه النكتة السخيفة لا تغتفر. أنزل قدميك من فوق المنضدة. أين رأيت مثل هذه السماجة؟!

دوريو دى جاديس: فى مجلس الشيوخ الأمريكى.

دون فليبرتو : لقد ملأت سيادتك السجادة بالغبار.

دوريو دى جاديس: هذه هى فلسفتى فى الحياة، لقد كنت ترابًا وإلى التراب تعود.

دون فليبرتو : وحتى هذه لا تعرف كيف تقولها باللاتينية. إنكم صبية وقحون.

كلارنيتو : **(محتجًا)** دون فليبرتو، نحن لم نخطئ فى شىء.

دون فليبرتو : حضراتكم شجعتم هذه النكتة السخيفة، والضحك فى هذه الحالة بذاءة أخرى، الضحك من إنسان أعلى منكم قدرًا، لا يوجد شىء يحترم عندكم، ماورا دجال.

دوريو دى جاديس: إنه ملك الكذب.

دون فليبرتو : بينيير Benlliure[١] هو قديس رخيص.

دوريو دى جاديس: مَثّال من بالنسيا Valencia.

دون فليبرتو : كافيستانى Canestany[٢] الشاعر العظيم مطرب.

دوريو دى جاديس: **(ساخرًا)** إنه أستاذ جيتار بالشفرة.

---

[١] بينيير Benlliure: مَثال إسبانى مشهور، وكان مرفوضًا من قِبَل الشباب الإسبانى المثقف.

[٢] كافيستانى Canestany: شاعر وكاتب مسرحى إسبانى، متهم ومرفوض أيضًا من قِبَل الشباب.

دون فليبرتو : ما الغرابة إذن فى أن يكون الرئيس اللامع فى نظركم إنسانًا حقيرًا وغير محترم.

دوريو دى جاديس: إنه صهر آخر.

دون فليبرتو : خلاصة رأيكم أنه ليس هناك شىء عظيم على أرضنا، ليس هناك شىء كريم يدعو إلى الإعجاب. إننى أشفق عليكم، إنكم مساكين، حضراتكم لا تشعرون بأى انتماء إلى هذا الوطن.

دوريو دى جاديس: (يسخر ويهزأ بكلام دون فليبرتو) هذا ترف وبذخ كبير لا نسمح به. ترفق بنا حتى نمتلك سيارة يا دون فليبرتو.

دون فليبرتو : حتى هذه الأمور لا تستطيعون التحدث فيها بجدية. إن بعضكم – بكل أسف – يطلق عليه لقب مُعَلِّم. هل يجرؤ أحدكم على أن يصرخ ويردد "تحيا التفاهة"؟ هذا لا يحدث فى مقهى أو فى صالون أصدقاء، بل فى ساحة هذا المكان الوقور، وهذا لا يصح أيها السادة. حضراتكم لا تؤمنون بأى شىء. إنكم مخربون ومستهترون.

من حسن الحظ أن عندنا شبابًا آخر غير حضراتكم، شبابًا مجتهدًا، شبابًا كادحًا مليئًا بالغيرة الوطنية.

دون لاتينو : أحتج على هذا الكلام، إذا كنت تقصد بالشباب الآخر الصبية التابعين لرابطة اليمينيين، المنساقين وراء الحكومة، فهؤلاء حتى لو كانوا يعتنقون مذهب الحداثة فنحن نسميهم صعاليك الطبقة العليا، حيث لم يصلوا بعد إلى درجة الحبس المشرف فى أقسام الشرطة، ولكل منا مذهبه.
يبدو لى أنهم قتلوا واحدًا من هؤلاء الشباب الأرستقراطيين. هل عندك خبر عن ذلك؟

دون فليبرتو : لقد كان عمر هذا الشاب سبعين عامًا.

دون لاتينو : حسنًا، لقد دفنوه، وماذا يهم؟ نعش آخر فقط يهم الحانوتى.

(يقطع الحديث رنين جرس التليفون... يأخذ دون فليبرتو سماعة التليفون... تبدأ رءوس الحاضرين فى الاهتزاز بما يوحى بتعبيرات مختلفة تشبه التمثيل الصامت... يُسمع صياح، فى حين ينصت

فليبرتو بياقة قميصه المعوجّة والسماعة فى أذنه... يبعثر النظرات فى الصالة وهو يلاحظ شباب الحداثة... يترك السماعة وعلى وجهه علامات الارتياح.

يظهر أمامهم دون فليبرتو مرة أخرى كالمتصوف بابتسامة هادئة تملأ صدغه العاجى اللون وصلعته العريضة والمستديرة.)

دون فليبرتو : الآن فقط صد رت الأوامر بالإفراج عن صديقنا إستريا. انصحوه حضراتكم بعدم الشرب مرة أخرى. إن لديه موهبة ويستطيع إنجاز شىء أكبر بكثير مما يفعل.
والآن اذهبوا واتركونى أعمل... لابد أن أقوم وحدى بتشطيب الصحيفة كلها.

المشهد الثامن

(غرفة السكرتارية الخاصة لمعالى وزير الداخلية... رائحة سيجار... صور رديئة... مظهر ريفى فاخر... الغرفة فى نصفها مكتب وفى النصف الآخر صالة مستديرة.

زئير التليفون يتبول فى حضن البيروقراطى الكبير...

دون ديجيتو، فى "مجلة المحاكم والمنصات". (يركض) ثلاث قفزات، ويرشق السماعة فى أذنه.)

ديجيتو : إلى من أتحدث؟

ـــــ : ....

ديجيتو : الآن صدرت الأوامر لإطلاق سراح.

ـــــ : ....

ديجيتو : لا شىء، لا شىء.

ـــــ : ....

ديجيتو : إنه مخمور.

ـــــ : ....

ديجيتو : نعم، أعرف أعماله.

ـــــ : ....

ديجيتو : كارثة. سوء حظ.

ـــــ : ....

ديجيتو : لا يمكن عمل ذلك........ ليس عندنا نقود.

ـــــ : ....

ديجيتو : سأخبره. سأسجل ذلك.

ـــــ : ....

ديجيتو : لا شىء. لا شىء.

(يظهر ماكس إستريا أمام الباب... شاحب الوجه منكسرًا... برباط عنق معوّج... تبدو عليه علامات الغطرسة والجنون. وفى الخلف يظهر الحاجب وهو يغلق أزرار سرواله.)

المحضر : انتظر يا سيد من فضلك.

ماكس : (متكبرًا) لا تضع يدك على كتفى.

المحضر: اخرج من فضلك، ولا داعى للصلف والغرور.

ماكس : **(متغطرسًا)** بلغ الوزير بقدومى.

المحضر: غير مسموح بذلك.

ماكس : نعم، هذا صحيح، لكنك قطعًا تسمع جيدًا...

المحضر: ارحل يا سيد، إنها ليست لحظة استماع.

ماكس : بلغه من فضلك.

المحضر: إنها أوامر... ولا داعى أن تكون ثقيل الظل يا سيد.

ديجيتو : **(مناديًا المحضر)** فرنانديز Fernandez، دع الأستاذ يدخل.

ماكس : أخيرًا أتعامل مع ابن بلد متحضر.

ديجيتو : صديقى ماكس إستريا، معذرة، دقيقة واحدة، وبعدها سأكون تحت تصرفك. لقد حدثونى عنك من دار تحرير البوبولار El popular. كل من فى الصحيفة يحبك... محبوك ومعجبوك فى كل مكان... من يدرى؟ لأنى شغوف بالصحافة أفكر فى عمل شيء... منذ فترة تراودنى فكرة إصدار صحيفة غير دورية كلما دعت الضرورة... صحيفة خفيفة مثل زَبَد الشمبانيا... لهيب من الفضائل... سأتصل بك فى هذا الشأن. إلى اللقاء أستاذنا، وأعتذر لك لأننا تعرفنا فى ظروف غير جيدة.

ماكس : لذلك حضرت لكى أحتج على ما حدث. لديكم مجموعة من جنود الشرطة بذاءتها تفوق الوصف.

ديجيتو : ليس كل رجالنا من هذا النوع يا أستاذنا يوجد من كل نوع يا أستاذنا.

ماكس : لا جدال فى ذلك. أريد أن يسمعنى الوزير، وفى الوقت نفسه أشكره على إطلاق سراحى.

ديجيتو : السيد الوزير لا يعلم عن ذلك شيئًا.

ماكس : سيعرف منى.

ديجيتو : السيد الوزير مشغول الآن. وعلى أية حال، سوف أدخل إليه.

ماكس : وأنا معك.

ديجيتو : مستحيل.

ماكس : سأصنعُ لكم فضيحة هنا إن لم أدخل.

ديجيتو : أنت مجنون.

ماكس : مجنون، وأنا أرى نفسى مرفوضًا ومُنكرًا. الوزير صديقى، صديق منذ زمن البطولات، وأريد أن أسمعه شخصيًا وهو يقرر أنه لا يعرفنى، باكو، باكو.

ديجيتو : سأخبره.

ماكس : بهذا أكتفى، باكو، باكو إننى شبح الماضى.

(معالى الوزير يفتح باب مكتبه... يطل منه مرتديًا قميصًا ذا أكمام... فتحة السروال غير محكمة الغلق... الشالية مفتوح... النظارة معلقة فى رقبة الوزير بحبل... تشبع عينين جسورتين تتراقصان فوق كرشه.)

الوزير : ما هذه الضوضاء يا ديجيتو؟

ديجيتو : سيدى، لم أستطع تجنب ذلك.

الوزير : ومن هذا الرجل؟

ماكس : صديق زمن البطولات، ألا تعرفنى باكو؟ لقد غيرتنى الحياة كثيرًا، ألا تعرفنى؟ أنا ماكس إستريا.

الوزير : طبعًا، طبعًا أعرفك، أأنت كفيف؟

ماكس : تمامًا مثل هوميروس Homeros[١] وبيليساريو Belsario[٢].

الوزير : يخيل إلىَّ أنك كفيف إثر حادث، أليس كذلك؟

---

(١) Homeros: شاعر إغريقى كفيف.

(٢) Belsario: جنرال بيسانتينى.

ماكس : نعم، عمى إلى الأبد وغير قابل للعلاج. إنه هدية من ڤينوس Venus[١].

الوزير : كان الله فى عونك، لماذا لم تحضر لرؤيتى قبل ذلك؟ إننى أقرأ إمضاءك فى الصحف أحيانًا.

ماكس : أعيش على الهامش، وأنت أصبحت نبيًا عندما تركت الأدب، وها نحن أولاء نسعد بحكمك باكو... الأدب لا يُطعم حتى لقمة العيش... الأدب طائر مغرد رخيص وجائع.

الوزير : الأدب - حقيقة - ليس موضع تقدير كافٍ، لكن له قيمته وقدره، صديقى ماكس، سأذهب لمواصلة عملى. اترك مذكرة للسكرتارية بكل ما تريد... لقد حضرت متأخرًا الآن.

ماكس : لقد حضرت فى وقتى تمامًا، لم أحضر لأطلب منك شيئًا، حضرت فقط لأطلب ترضيتى وعقاب الآخرين. إننى كفيف، يلقبوننى بالشاعر، وأتعيش بائسًا من تأليف قصائدى.
إنك تظننى مخمورًا لحسن الحظ، فلو لم أكن مخمورًا لكنت أنت الآن تصوب علىَّ رصاصة من مسدسك، باكو. القتلة المأجورون رجالك ليس من حقهم إهانتى والبصق علىَّ،

---

[١] فينوس Venus: آلهة الجمال عند الإغريق.

وصفعى على وجهى. لقد حضرت أطلب منك معاقبة هذه الشرذمة من الأشقياء، وأطلب اعتذارًا من الآلهة منيرڤا Minerva[1].

الوزير : ليس عندى علم بشيء من ذلك. ديجيتو، ماذا حدث؟

ديجيتو : كان وسط مجموعة من الصعاليك فى الشارع، حيث لم يكن مسموحًا بالتجمهر فى ظل قوانين الطوارئ المفروضة، ولقد كان الأستاذ فى حالة سكر بيّن وهياج تام، فأثار الشعب.

ماكس : لقد قبضوا علىَّ بدون وجه حق، وعذبونى، ولا تزال آثار التعذيب هنا فى معصمى.

الوزير : هؤلاء الجنود الذين قبضوا على ماكس تابعون لأية جهة يا ديجيتو؟

ديجيتو : يتبعون مباحث أمن الدولة يا معالى الوزير كما ذكرت لسيادتك منذ برهة.

ماكس : هذا محض افتراء، لقد قُبِضَ علىَّ ظلمًا وتحكمًا من أحد الجنود المرتزقة، وقد سألت ذلك العبقرى عما إذا كان يعرف الأربعة "ديالوجات" الإغريقية.

---

[1] منيرڤا Minerva: آلهة لاتينية.

الوزير : **(ضاحكًا)** للحق، هذا سؤال ظالم لافتراضك معرفة هذه الآداب الإنسانية العالية فى جندى بسيط.

ماكس : لقد كان برتبة ملازم أول.

الوزير : حتى لو كان قائدًا، جنرالاً، فهذا لا يعنى براءتك من ذلك السؤال الظالم، فأنت أنت دائمًا يا ماكس، الأصلع نفسه، لا تتغير، كأن العمر لا يتقدم بك. آه، كم أحسد فيك هذه الروح المرحة الدائمة.

ماكس : الحياة بالنسبة إلىَّ ظلام دائم، لقد أصبحت كفيفًا منذ عام واحد، أملى وزوجتى تكتب، لكن ليس هناك شىء مستحيل.

الوزير : زوجتك فرنسية، أليس كذلك؟

ماكس : إنها ملاك من السماء، تكتب الإسبانية بحروف من جهنم، لابد أن أمليها حرفًا حرفًا، وبهذه الطريقة تتلاشى من رأسى الأفكار. يا للعذاب! لو كان فى بيتى كسرة خبز. لقد أحزننى العمى. إن الكفيف يدرك الأشياء فى حياتنا أكثر لأن العيون كاذبة مغرورة. إلى اللقاء باكو، يكفينى أننى لم أحضر إلى هنا لطلب إحسان. ماكس إستريا ليس بالفقير المزعج.

الوزير : انتظر، لا تذهب ماكسيمو، بما أنك حضرت فلنتكلم، فلقد بعثت فى نفسى من جديد دهرًا بكامله مرّ من حياتى، ربما

تكون تلك الأيام أحسن أيام حياتى. يا لها من أيام رحلت. كنا نستذكر دروسنا معًا. كنت تقطن شارع الذكريات، وكانت لك شقيقة. لقد أمضيت وقتًا طويلاً مفتونًا بها، متدلهًا فى حبها، ومن أجلها نظمتُ شعرًا.

ماكس : شارع الذكريات. **(يردد الشعر)**:

شباك إليتا

البنت السمراء

التى رأيتها تطل منه.

ماكس : شارع الذكريات.

جوقة من الشباب تطوف ليلاً وتلهو.

سلّم القمر.

الذى أمسكت به.

الوزير : يا لها من ذاكرة قوية! لقد أدهشتنى، ماذا حدث لشقيقتك؟

ماكس : لقد ترهبنت.

الوزير : ولأخيك أليكس؟

ماكس : تُوفى.

الوزير : وللآخرين؟ لقد كنتم كثيرين.

ماكس : أعتقد أنهم توفوا جميعًا.

الوزير : لم تتغير... يا ماكس، أنا لا أريد أن أخدش إحساسك، لكن بما أنك مكثت كثيرًا معى هنا، فبإمكانى أن أجعل لك راتبًا شهريًا.

ماكس : شكرًا.

الوزير : موافق؟

ماكس : ليس لى حيلة فى ذلك.

الوزير : دوّن عندك يا ديجيتو.

(لديجيتو) أين تقطن يا ماكس؟

ماكس : هيئ نفسك لكتابة طويلة أيها الشاب المعلّم: باستر ديّو ٢٣، سلّم داخلى، جوارديّا B. وإذا غاب عنك فى هذه المتاهة خيط رفيع لا تطلب شيئًا من الحارسة لأنها مسعورة تعض.

الوزير : كم أحسد فيك هذه الروح الفكاهية يا ماكس.

ماكس : (ساخرًا) أمتلك الدنيا، كل شىء حولى يبتسم لى، إننى رجل بلا آلام.

الوزير : إنى أحسدك.

ماكس : باكو، لا تكن مزعجًا.

الوزير : ماكس، كل شهر سوف يصلك الراتب على المنزل، والآن إلى اللقاء، فلنتعانق.

ماكس : خذ طرف إصبعى فقط، ولا تكن عاطفيًا.

الوزير : إلى اللقاء أيها العبقرى الفوضوى.

ماكس : يكفينى أننى أتيت أطلب رد اعتبار لكرامتى، وعقابًا لبعض الأشقياء. يكفينى أننى لم أحصل على شىء من الاثنين، وتعطينى أنت نقودًا، وأوافق أنا على أخذها لأننى حقير. لم يكن مسموحًا لى أن أحيا فى هذه الدنيا دون أن أتحسس مرة على الأقل قاع المجتمع الحقير، ويكفينى أننى فزت بعناق سيادة الوزير.

(ماكس إستريا يفتح ذراعيه على هيئة صليب، يرفع رأسه وعيونه متحجرة... تلك العيون تشعرك بالمأساة فى هدأة العمى... فى حين يتقدم ماكس كالشبح يسعى نحوه معالى الوزير ذو الكرش المغطى بالدهون يشبه فى ذلك احتدام الكوميدى العجوز فى أفضل ميلودراما فرنسية.

يتعانق الاثنان... فى لحظة الافتراق تترقرق دمعة فى حدقة عينى معالى الوزير الذى يشد على يد البوهيمى ويترك بها بعض النقود.)

الوزير : إلى اللقاء، إلى اللقاء، صدقنى لن أنسى هذه اللحظة.

ماكس : إلى اللقاء باكو، شكرًا بالنيابة عن امرأتين بائستين[١].

(معالى الوزير يضغط جرسًا... يحضر الفراش وعلى وجهه أمارات النعاس.

ماكس إستريا يتخبط بعصاه... باحثًا عن الطريق... متجهًا إلى الأمام نحو باحة المكتب حيث توجد شرفة.)

الوزير : اصطحب معك السيد ماكس واتركه في سيارة.

ماكس : أكيد، كلبى ينتظرنى عند الباب.

الفراش : إن الذى ينتظرك أمام الصالة شخص فى مقدمة العمر.

ماكس : دون لاتينو دى إسباليس هو كلبى.

(يأخذ الفراشُ البوهيمى من كتفه ويخرج به من المكتب... الفراش شبه نائم إلا أنه يلاحظ إشارة الوزير... تلك الإشارة المعتوهة لمزاج متمثل فى مشهد من مشاهد الامتنان العظيم.)

---

[١] يقصد زوجته وكريمته.

الوزير : عزيزى ديجيتو، لقد رأيت رجلاً فقد قوة الإرادة، كان لديه كل شيء، تخيّل، الكلمة، الطرفة، التجديد، كان يغير الألوان مثل لهيب المشروب الحرّيف.

ديجيتو : يا له من صورة شامخة!

الوزير : بدون شك، كان هو الأكثر قيمة بين أبناء جيلى.

ديجيتو : ثم يُرى الآن هكذا فى عرض الطريق، تفوح منه رائحة الخمر، يترنح ويحيى القوادات بالفرنسية.

الوزير : عشرون عامًا مضت، حياة كاملة، ودون توقع يظهر فجأة مرة أخرى ذلك الشبح البوهيمى.

لقد أنقذت نفسى من هذه الكارثة عندما تركت نظم الشعر يا ديجيتو، أنت لا تعلم عن هذا شيئًا، لأنك لم تولد شاعرًا.

ديجيتو : يا لطيف، يا لطيف.

الوزير : آه، ديجيتو، إنك لم ولن تصل أبدًا إلى عالم الخيال والبوهيمية، لقد خلقت لتكون مؤهلاً علميًا. إنك لن تكون من أصحاب عالم الأحلام الملىء بسوء الأخلاق، لكن أنا نعم.

ديجيتو : هل تتحسر على ذلك، دون فرنسيسكو؟

الوزير : أعتقد أننى بالفعل أتحسر على ذلك.

ديجيتو : سيدى وزير الداخلية، هل تستطيع أن تتبادل الأماكن أنت والشاعر ماكس إستريا؟

الوزير : **(ساخرًا أو مؤنبًا)** لقد ارتدى السيد دون ديجيتو ذو المؤهل العالى رداء المحاماة. أجّل هذا الاستجواب لحظة سيدى، وابدأ فى التفكير كيف نبرر النقود التى سوف نعطيها لماكس إستريا؟

ديجيتو : سوف يأخذها من اعتمادات الشرطة.

الوزير : سخرية.

(يغرق السيد الوزير فى كسل ذريع... يشعل سيجارة أمام المدفأة المشتعلة فوق السجادة... يطلب الصحيفة... يلقى نظرة سريعة... يستدير فى مقعده ويغط فى نوم عميق مع الإضاءة المرتعشة المنبعثة من المدفأة مع خاتمه الفاخر.)

المشهد التاسع

("كافيتريا" ذات جدران مكسوة بمرايا مطفأة البريق... موائد رخامية... طاولة العرض الرئيسية فى مؤخرة الكافيتريا... يقف خلفها عجوز أحمر الوجه، أشعث الشعر... يظهر نصفه الأعلى فوق الزجاجات المختلفة... الظلال الخافتة والموسيقى المنسابة من البيانو والكمان تغمر المكان... سحب الدخان الأزرق تكسو رعشة الأقواس اللامعة فوق الأوتار.

تلك المرايا المتعددة مفعمة بكثير من القصص التى تنساب فى أسلوب ركيك... فى وسط المكان تصدمنا الكافيتريا بما فيها من بناء هندسى سخيف وشاذ.

الإيقاع المبتذل للموسيقى... الأضواء المنعكسة بقاع المرايا... بخار الدخان الذى يخترق رعشة الأقواس اللامعة، كل ذلك يعكس أوجه الغرابة والشذوذ فى ذلك المكان.

ماكس إستريا ودون لاتينو يدخلان بشكل غريب وشاذ... تتغير هيئتهما فى التو واللحظة وسط ذلك الإيقاع الثلاثى.)

ماكس : أى أرض تطأ قدمانا؟

دون لاتينو: كافيتريا كولون.

ماكس : انظر ما إذا كان روبين[١] موجودًا أو لا؟ لقد اعتاد الجلوس هنا أمام الغرفة الموسيقية.

دون لاتينو: إنه هناك يشبه الخنزير الحزين.

ماكس : هيا بنا نجلس بجانبه، هل تعرف يا لاتينو أن هيبة الشعر وصولجانه سوف تنتقل بعد موتى إلى هذا الأسود روبين.

دون لاتينو: لا تكلفنى بأن أكون شاهدًا على وصيتك.

ماكس : إنه شاعر عظيم.

دون لاتينو: أنا لا أفهمه.

ماكس : أنت تستحق أن تكون حلّاق ماورا.

(يخترق الاثنان المقاعد والمناضد الرخامية ويصلان إلى الركن الذى يجلس فيه روبين داريو صامتًا... أمام ذلك الشبح يقفان... شبح شاعر يحتسى مرارة الحياة... بإيماءة أنانية لطفل غاضب يغلق عينيه ويتجرع رشفة من كأسه الملأى بالخمر. أخيرًا تنفرج أسارير وجهه الذى يشبه الصنم... يفتر ثغره بابتسامة مبللّة... يقف الكفيف أمام المائدة ويرفع ذراعيه بعظمة تمثال قيصرى.)

---

[١] روبين داريو Ruben Dario: شاعر مشهور من أمريكا اللاتينية (نيكارجوا) ورائد مدرسة الحداثة فى أمريكا اللاتينية ومعظم دول أوروبا.

ماكس : (متجهًا نحو روبين) مرحبًا أخى، إذا كنت أصغر سنا فأنت أعظم قدرًا.

روبين : عجبًا، كم من وقت مضى دون أن نلتقى يا ماكس. ماذا تفعل الآن؟

ماكس : لا شىء.

روبين : عجبًا، ألم تأتِ هنا من قبل؟

ماكس : نعم، الكافيتريا ترف غال بالنسبة إلىَّ، إننى أتوجه عادة إلى الحانة حيث أنتظر ساعتى[1] هناك.

روبين : ماكس، نحن نحب الحياة، وما دمنا نستطيع ذلك يجب أن نتناسى تلك الساعة.

ماكس : لماذا؟

روبين : لا نتحدث عنها.

ماكس : إذا كنت خائفًا منها فأنا على عكس ذلك أغازلها. لا تخف روبين، سأحمل عنك الرسالة التى يسعدك إرسالها إلى الشاطئ الآخر لنهر جهنم. لقد أتيت هنا لكى أصافحك

---

[1] يقصد لحظة الموت.

للمرة الأخيرة مصطحبًا معى جملى الشهير دون لاتينو دى إسباليس، إنه رجل من الذين يحتقرون شعرك كما لو كان أكاديميًا.

دون لاتينو : عزيزى ماكس، لا تدع خفة الظل.

روبين : **(نحو لاتينو)** الأستاذ هو دون لاتينو دى إسباليس.

دون لاتينو: نعم، ويعرف كل منا الآخر يا أستاذ، لقد كنا نعمل معًا منذ وقت طويل مضى فى صحيفة "قيثارة أمريكا اللاتينية"، هل تتذكر؟

روبين : عندى ذاكرة متهالكة يا دون لاتينو.

دون لاتينو: لقد كنت المحرر المالى للصحيفة فى باريس، وكنا نتخاطب دون كلفة روبين.

روبين : لقد نسيت ذلك.

ماكس : **(ساخرًا من لاتينو)** كيف وأنت لم تذهب قط إلى باريس؟

دون لاتينو: عزيزى ماكس، للمرة الثانية أكرر، لا مبرر لادعاء خفة الظل، اجلس وادعنا إلى العشاء **(يتجه نحو روبين)** روبين، هذا الشاعر العظيم صديقنا يُدعى الليلة إستريا المتألق.

روبين : عجبًا، إن الهروب من البوهيمية لأمر ضرورى أحيانًا.

دون لاتينو: إنه ميسور الحال يحتفظ بشيكين من فئة قابل للصرف.

ماكس : بعد الظهيرة اضطررت إلى أن أرهن معطفى، وهذا المساء أدعوك إلى تناول العشاء، العشاء مع الشمبانيا الحمراء.

روبين : عجبًا أن نتقاسم الكأس مثل مارتين دى تورس، ثم يتحول ذلك إلى عشاء، عجبًا.

دون لاتينو: **(نحو النادل)** قائمة الطعام، يبدو لى أن طلب نبيذ فرنسى ضرب من المبالغة، يجب أن نفكر فى الغد أيها السادة.

ماكس : لا، لا نفكر.

دون لاتينو: أتفق معك فى الرأى، إذا مزجنا القهوة وكأس النبيذ النقى معًا سوف نتسمم.

ماكس : إنك برجوازى بائس.

دون لاتينو: عزيزى ماكس، هيا بنا نعقد اتفاقًا؛ أشرب أنا – وبتواضع – كوبًا صغيرًا من "البيرة"، وتدفع أنت – وبدماثة وفى الحال – المبلغ المتبقى من ثمن المشروب.

روبين : لا تنحرف عن التقاليد الحميدة يا دون لاتينو.

دون لاتينو: الخادم يختلف تمامًا عن الشاعر؛ إننى أكسب لقمة العيش بالكدّ والعمل، وهو أكثر مشقة من نظم الشعر.

روبين : أنا أيضًا أدرس الحسابات الفلكية.

دون لاتينو: (ساخرًا) إذن آسف، إذن نعم، حتى لو كنت ترانى مكتفيًا ببيع سلسلات فأنا تابع لكاتدرائية الشعوذة أيضًا.

روبين : أنا أيضًا كذلك.

دون لاتينو: أذكر أن شيئًا ما توصلت إليه.

روبين : إننى أشعر بأن الشىء الأساسى هو الضمير الإنسانى.

دون لاتينو: دون شك، دون شك، دون شك، ضمير، إرادة، قدرة.

روبين : بحر وأرض، نار ورياح، غيبيات مهولة، محتمل جدًا أن تكون إلهية لأنها خالدة.

ماكس : العدم[1] هو الخالد.

دون لاتينو: ثمرة العدم هى الأشياء الأربعة الأساسية التى تشير إلى الرموز الأربعة المبشرين بالإنجيل.

---

[1] يقصد الموت.

العقيدة هى التى فى مجملها تبدأ فقط بالرباعى. لكن من ترويض الوحدة ينحدر الرقم؛ ولذلك فإن هذا الرقم مقدس.

ماكس : اخرس يا فيثاغورس[1]، كل ذلك قد تعلمته من اختلاطك ببلافاتسكى Blavatsky[2].

دون لاتينو: ماكس، هذا المزاج غير مسموح به. إنك روح شيطانية، إنك ملحد، غير متدين بالمرة، وتابع لمذهب ڤولتير. مدام بلافاتسكى كانت امرأة غير عادية، ويجب عليك ألا تدنس ذكراها بهذه السخرية. من الممكن أن تصاب بالأذى من رد فعل بركاتها، ولن تكون أنت أول حالة.

روبين : **(يتحدث عن النظرية الصوفية، عن مسائل التنجيم والسحر)** من حسن الحظ أننا لم نرهم ولم نفهمهم، ودون هذا الجهل قد تكون الحياة رعبًا وفزعًا هائلاً.

ماكس : هل تعتقد فى هذه الأشياء؟

روبين : نعم أعتقد.

---

[1] فيثاغورس: فيلسوف ورياضى إغريقى.

[2] بلافاتسكى Blavatsky: هى إيلينا باترنا بلافاتسكى، كاتبة روسية (١٨٣١ - ١٨٩١) تدور كتاباتها حول إطراء التصوف والتنجيم.

ماكس : في الله؟

روبين : وفي المسيح.

ماكس : وفي لهيب جهنم؟

روبين : وفي أكثر من ذلك، أعتقد أيضًا في موسيقى الفردوس.

ماكس : إنك منافق يا روبين.

روبين : إنني عبقري.

ماكس : هل تتصنع ذلك؟

روبين : لا.

ماكس : بالنسبة إليّ ليس هناك شيء بعدما ألفظ آخر نَفَس، وإذا وجدت شيئًا سأخبرك به.

روبين : اخرس يا ماكس. لا تحطم الطابع الإنساني.

ماكس : روبين، تذكر هذا "العشاء"، والآن دعنا نخلط النبيذ بورود شعرك، فلننصت إليك.

(روبين ينهض مرتجفًا بحركة تثير الرعب والغموض... ماكس إستريا يمد إليه يديه بإلحاح... دون لاتينو يملأ الأكواب... روبين

يخرج من تأمله في الحزن العريض المنحوت في وثنية الأستيكاس Aztecas[1].)

روبين : سأرى ما إذا كنت أتذكر أبياتًا من "السفر إلى كومبوستيلا"... إنها آخر أبيات نظمتها.

ماكس : هل نُشرت؟ إذا كان ذلك فمن المؤكد أنها قرئت لى، لكن على أية حال، من فمك ستصبح هذه الأبيات جديدة.

روبين : من المحتمل ألا أتذكرها.

(يجلس شاب على المائدة المجاورة... يكتب... يبدو أنه يترجم... أمام عينيه كتاب مفتوح وكراسات مكدسة... ينحنى بخجل نحو روبين داريو.)

الشاب : أستاذ، عندما لا تتذكر، أستطيع أن ألقنك.

روبين : عجبًا!

ماكس : أين نشرت تلك الأبيات؟

الشاب : لقد قرأتها وهى بخط اليد عندما كانت فى طريقها إلى النشر فى إحدى المجلات التى ماتت قبل أن تولد.

---

[1] الأستيكاس Aztecas: هم أهل المكسيك الأصليون.

ماكس : هل كانت تابعة لباكو فياسبيسا Paco Villaespesa[1].

الشاب : لقد كنت سكرتيره الخاص.

دون لاتينو: منصب عظيم.

ماكس : ليس من حقك أن تحقد يا لاتينو.

الشاب : (نحو روبين) هل تتذكر ذلك يا أستاذ؟

(روبين يجلس بحركة كهنوتية... يأخذ رشفة من الكأس... يلقى الشعر بطيئًا موزونًا فى ثبات... يبرز اجتهاده فى التمييز بين مخارج الحروف.)

روبين : الطريق يلعق نهاياته، وفى ركن مفصلة الباب الداكن نقتسم خبزًا صلبًا مع الماركيز دى برادومين El Marqués de Bradomin.

الشاب : إنها النهاية يا أستاذ.

روبين : بالمناسبة، فلنشرب نخب صديقنا الغالى.

ماكس : لقد اختفى من العالم.

---

[1] باكو فياسبيسا Paco Villaespesa: شاعر إسبانى مشهور (١٨٧٧ – ١٩٢٦)، وهو شاعر رومانسى تابع لمدرسة الحداثة، وأسس كثيرًا من المجلات.

روبين : إنه يستعد للموت من قريته، وخطابه الأخير الذى كتبه يودعنى كان سببًا لكتابة هذه الأبيات، فلنشرب فى صحة هذا المخطئ الرائع.

ماكس : فلنشرب.

(يرفع كأسه... يستمتع برائحة الخمر... يتنهد ويسترجع سماء باريس البعيدة.

البيانو والكمان موسيقاهما تدكّ المكان بأغنية قصيرة من إحدى الأوبريتات... الرعيّة الموجودة بالكافيتريا تعزف الإيقاع بالملاعق داخل الأكواب بعد الفراغ من الشراب... تختلط أصوات الثلاثة المنعزلين[١] بعضها ببعض وهم يتحدثون الفرنسية... يتذكرون... يبرزون أضواء الحفلة الخالدة فى باريس، ملاهٍ، تخيّل، وفى نغمة الجُمل استعراض لبابا فرلان برحلة العرجاء Papa Verlan [٢].)

---

[١] ماكس – لاتينو – روبين.

[٢] Papa Verlan: شاعر فرنسى (١٨٤٤– ١٨٩٦) عاش حياة بوهيمية ملأى بالعذاب والألم، تأثر بها فانعكست فى شعره... تأثر به رواد الرمزية ومدرسة الشعر الغنائى فى إسبانيا وأمريكا اللاتينية.

المشهد العاشر

(متنزه عام... القمر ساطع فى سماء ملساء بعيدة الأفق... دورية من الفرسان... سيارة ذات صوت ضعيف وأضواء براقة تطوف الحديقة... الفتيات الساقطات يتسللن من بين الظلال الباهتة لغصون الأشجار... بعض العجائز ذوات الوجوه الملطخة بالأقنعة يجلسن على المقاعد... أشباح نائمة فى استرخاء... ماكس إستريا ودون لاتينو يتجولان تحت ظلال الطريق... زهر البنفسج الربيعى يعطر رطوبة الليل.)

إحدى العجائز المتصابيات: يا أسمر، شبس! يا أسمر، هل تريد الحضور لبعض (**منادية ماكس ولاتينو**) الوقت؟

دون لاتينو: (**ساخرًا منها**) عندما تضعين طاقم أسنانك.

العجوز: ولو لتترك لى سيجارة واحدة.

دون لاتينو: سأعطيكِ صحيفة المراسلة La corres[1] لكى تشترى وتنشرى فيها خطابًا لماورا.

---

[1] La corres: اختصار لاسم صحيفة المراسلة الإسبانية الشهيرة Corresponsal.

العجوز : أعْطَوْه الطعم.

دون لاتينو: استخدام المذهب اليهودى ممنوع.

العجوز : **(تنظر إلى فتاة جميلة تدعى لوتارس)** انظرى ذاك المغازل **(وتتجه نحو ماكس ولاتينو)** انتظر! سأنادى صديقتى لوتارس، لوتارس.

(تظهر لوتارس... فتاة ساقطة... ترتدى جوربًا أبيض ومريلة، وخمارًا، وصندلاً... تقف نحو ظلال الحديقة... تقذف بضحكة خليعة على غير استحياء.)

لوتارس : **(لماكس ولاتينو)** أى، يا لهما من شابين أنيقين، حضرتكما ستنتشلانى هذا المساء من الشارع.

العجوز : سيستضيفاننا الليلة.

لوتارس : اترك مليمًا لى واستكمله بجنيه للفراش.

العجوز : إنهما بخيلان، ولو سيجارة واحدة.

ماكس : تفضلى سيجارة.

العجوز : **(ساخرة)** مليونير.

لوتارس : إذن ستستولى عليه، إنه إنسان سلس.

العجوز : نعم، كعشيق، إنه ثرى.

لوتارس : والآن، تسمحين لى بنُفاثة واحدة من السيجارة.

العجوز : هذا أحتفظ به.

لوتارس : (ساخرة) من أجل ملك البرتغال.

العجوز : يعيش من أجل إيجينى Higiene[1].

لوتارس : ونحن – المنجمين – ألا نمارس الدعارة؟

(تتقدم العاهرتان فى الخفاء – بتمهل – تحت ظلال المكان؛ العجوز بجوار دون لاتينو دى اسباليس، ولوتارس بجوار ماكس إستريا.)

لوتارس : انظر إلى ملابسى الداخلية، كم هى نظيفة.

ماكس : إنى مكفوف البصر.

لوتارس : ألا ترى شيئًا؟!

ماكس : لا شىء.

لوتارس : المسنى، إنّى صلبة جدًا.

ماكس : إنك مثل المرمر.

(تأخذ الفتاة يد الشاعر بضحكة رقيعة... تجعله يتلمس كتفيها وتضغط بيده على صدرها.

---

[1] إيجينى Higiene: عالم لغوى من أمريكا اللاتينية، وله مؤلفات فى شتى العلوم.

العجوز الداعرة التى يختفى وجهها تحت طلاء الجير تكشف عن لثتها الخالية من أسنانها، وتحاول تدليل دون لاتينو.)

العجوز : يا جميل، تعالَ معى، صديقك سيتفاهم الآن مع لوتارس، لا تكن كسولاً، تعالَ، لو اقترب منا أحد الجنود سننفحه سيجارة فاخرة.

(العجوز تحمل لاتينو مبتسمة... بيضاء... مثل الشبح... تهمس له فيختفيان بين أشجار الحديقة... ماكس إستريا والصعلوكة الأخرى منعزلان فى الظلال على حافة الطريق.)

لوتارس : المس صدرى، لا تخف، إنك شاعر.

ماكس : كيف عرفتِ أنّى شاعر؟

لوتارس : (ساخرة) عرفت من "باروكة" نازارينو Nazarino[1]، هل أخطأت فى ذلك؟

ماكس : لا، لم تخطئى.

لوتارس : لو وافقتنى على أن أضع عمرى تحت تصرفك، تستطيع أن تُخرج تاريخًا من الدرجة الأولى. أجبنى: كيف ترانى؟

---

[1] Nazarino: المنتصر بالله، شخصية تاريخية من فلسطين.

ماكس : حورية.

لوتارس : كلماتك مرتبكة، زميلك (**تقصد دون لاتينو**) اتفق مع العاهرة، تعالَ أعطنى يدك، هيا بنا نجلس فى مكان أكثر انطلاقًا، وسترى كيف أسعدك.

ماكس : خذينى إلى أقرب مظلة لكى أنتظر هذا الخنزير إسباليس.

لوتارس : لا أفهم ماذا تقصد.

ماكس : إسباليس هو إشبيلية.

لوتارس : سوف يكون فى لهجته الخاصة، إننى شىء مختلف تمامًا، أنا أكثر منه رُقيًا.

ماكس : ما عمرك؟

لوتارس : لا أعرف كم يبلغ عمرى...

ماكس : وهل تقفين هنا دائمًا فى المساء؟

لوتارس : معظم الوقت.

ماكس : هل تكسبين لقمة العيش بشرف؟

لوتارس : أنت لا تعرف كم أقاسى من أجل ذلك، إننى أتأمل ما أفعله كثيرًا... إن هذه العجوز البذيئة تحدثت إلىَّ كثيرًا لكى تقودنى إلى منزل دعارة، منزل فخم، لم أستجب

لها... أستلقى فى الفراش! لا، لا أرقد... إننى أحتفظ بذلك للرجل الذى يستطيع حقًا أن يغازلنى. لماذا لا تحاول أنت ذلك؟

ماكس : ليس عندى وقت لذلك.

لوتارس : حاول كى ترى ما سوف تحصل عليه، انتبه؛ إنك تعجبنى.

ماكس : أحذرك، إننى شاعر مفلس.

لوتارس : هل أنت بالمصادفة الذى أخرج موشحات خوسيليتو Joselito[1]؟

ماكس : نعم أنا.

لوتارس : حقيقة؟

ماكس : حقيقة.

لوتارس : اطربنى بهذه الموشحات.

ماكس : لا أتذكرها.

لوتارس : لماذا لا تستخرجها من قبعتك؟ بدون كذب، أين موشحاتك؟

---

[1] خوسيليتو Joselito: مصارع ثيران إسبانى مشهور.

ماكس : موشحات إسبارتير Esparteor[١].

لوتارس : وتتذكرها؟

ماكس : وأغنيها مثل الفلامنكو.

لوتارس : ألا تستطيع ذلك؟

ماكس : لو كان عندى كمان.

لوتارس : هل تستطيع العزف على الكمان؟

ماكس : أنا مكفوف البصر.

لوتارس : إنك تعجبنى.

ماكس : ليست لدىَّ نقود.

لوتارس : ستدفع إيجار الفراش فقط، ولو كنت سعيدًا لن أمانع إذا عزمتنى على فنجان قهوة بالخبز.

(ماكس إستريا... وبلمسة مكفوف... يمرر يديه على جانب وجه الفتاة، وعلى رقبتها وكتفيها... الصعلوكة تضحك بصوت متهتك ومثير... تخلع رابطة شعرها الغجرية وتمشط بها خصلات الشعر... تعيد الضحك وتسترخى.)

---

[١] إسبارتير Esparteor: مصارع ثيران من إشبيلية (١٨٦٥ – ١٨٩٤) توفى فى حلبة المصارعة بمدريد، موشحاته عبارة عن تانجو شعبى يُردد فى ذكرى وفاته.

لوتارس : هل تريد أن تعرف كيف أكون؟! إننى سوداء جدًا وقبيحة جدًا.

ماكس : لا تبدين هكذا، من المؤكد أنك بنت خمسة عشر عامًا.

لوتارس : تمامًا، عندى خمسة عشر عامًا، منذ ثلاثة أعوام والدورة الشهرية تزورنى، لا تفكر بعد وتعالَ معى؛ هناك منزل محترم جدًا، وقريب من هنا.

ماكس : وسوف تفين بوعدك؟

لوتارس : لا! أفرط لك فى نفسى؟ لا تبدو لى أندلسيًا بدرجة كافية، ما هذه اليد التى تملكها؟ لا تلمس وجهى، المس جسدى.

ماكس : إنك ذات شعر أسود.

لوتارس : تمامًا.

ماكس : تفوح منكِ رائحة الفل.

لوتارس : لأننى كنت أبيعه.

ماكس : ما لون عينيك؟

لوتارس : لا تستطيع التخمين؟

ماكس : خضراوان.

لوتارس : مثل الغجرية باستورا مبيريو Pastora Imperio[1].

(فى الظلام: تبدو شعلة سيجارة يصحبها سعال دون لاتينو الربوى... بعيدًا فوق الأسفلت الساخن يسمع وقع خبب خيل الدورية... شعاع ضوء إحدى السيارات... مصباح خفير الليل... مفصلة باب السور الحديدى... ظلال خفية... وجه ملطخ بالجير صاحبته عجوز أخرى شاذة المنظر... ظلال مختلفة.)

---

[1] باستورا مبيريو Pastora Imperio: راقصة غجرية مشهورة فى ذلك العهد، كانت فاتنة الجمال مبدعة فى فتنتها.

المشهد الحادى عشر

(أحد الشوارع الفقيرة بمدريد... أسوار أحد الأديرة... منزل كبير لأحد النبلاء... أضواء إحدى الحانات... مجموعة من سيدات الحى يجلسن على الرصيف... إحداهن ممزقة الصدر وتحتضن طفلها المتوفى وتصرخ بصوت مبحوح... صدغ الطفل مثقوب من إحدى الرصاصات.

ماكس إستريا ودون لاتينو (hacen un alto) يقفان على الطريق.)

ماكس : هنا أيضًا يُدهس زجاج مكسور.

دون لاتينو: الضرب أصبح على أشده.

ماكس : كلهم أوغاد ونحن – الشعراء – أولهم.

دون لاتينو : الحياة أصبحت أشبه بمعجزة.

والدة الطفل: مخنثون جبناء، نار جهنم ستحرق قلوبكم السوداء أيها المخنثون الجبناء.

ماكس : ماذا يحدث لاتينو؟ مَنْ تلك السيدة التى تبكى وتصرخ من أعماقها؟

دون لاتينو: بائعة خضر تحتضن طفلها المضروب بالرصاص.

ماكس : لقد هزني هذا الصوت المأساوى.

المُرابى : **(معلقًا على كلام ماكس)** إنها مضطربة لا تعى ما تقول.

الحارس : السلطة تتولى الأمور أيضًا.

صاحب الحانة: إنها مأساة لا يمكن السكوت عليها من أجل استقرار الأمن.

المُرابى : هذه الشرذمة من الفوضويين حطمت واجهة المحل الزجاجية.

البوابة : لماذا لم تسرع بإنزال الباب الحديدى للمحل؟

المُرابى : لقد قذف بى الجمع الكبير خارج المحل، أعتقد أنهم سيتذكرون تعويض المتضررين من أصحاب الملكية الخاصة.

صاحب الحانة: الشعب الذى ينهب المؤسسات العامة التى تموّنه شعب ليس لديه انتماء أو إحساس عال بالوطنية.

والدة الطفل: **(تصرخ من أعماقها)** جلاّدون. فلذة كبدى.

أحد البنائين: الشعب جائع.

المُرابى : لكن لديه عزة نفس.

والدة الطفل: (تصرخ) مخنثون، جبناء.

إحدى العجائز: تحلّى بالصبر روموالدا Romualda.

والدة الطفل: فليقتلونى كما اغتالوا زهرة الربيع (تقصد طفلها).

بائعة أسماك: إنه برىء لا ذنب له، كان يجب وضع ذلك فى الحسبان.

صاحب الحانة: دائمًا يدّعون أن الجنود لا يضربون أحدًا.

أحد المحالين إلى المعاش: لقد سمعتهم بنفسى.

والدة الطفل: هذا كذب.

المتقاعد : إنى صادق.

المُرابى : الألم يعتصرك، وسيفقدك صوابك يا روموالدا.

والدة الطفل: سفاحون. عندما أراهم كأنى رأيت الجلاد.

المتقاعد : مبدأ السلطة حتمى ولا يرحم.

البناء : **(معلقًا على ذلك)** مع الفقراء، لقد قتل من أجل الدفاع عن التجارة التى يمتصون بها دماءنا.

صاحب الحانة: ولكى يدفعوا ضرائبهم، يجب ألا ننسى ذلك.

المُرابى : التجارة الشريفة لا تمتص دماء أحد.

البوابة : نشتكى من الرذيلة.

البناء : أرواح العمال لا تمثل شيئًا بالنسبة إلى الحكومة.

ماكس : أخرجنى من هذه الدائرة الجهنمية.

(يسمع صوت صلصلة سلاح مجموعة من الجنود المشاة... تتحرك مجموعة الجنود باضطراب وتنذر الآخرين... يبرز صراخ الأم المبحوح... تحتضن بشدة طفلها الميت كلما ازداد صوت إطلاق النيران.)

والدة الطفل: (تصرخ) بنادق سوداء. اقتلونى أيضًا برصاصكم.

ماكس : هذا الصوت يمزقنى.

والدة الطفل: (تتحسس خدود الطفل) يا لها من باردة، فم من الفُل.

ماكس : لم أسمع فى حياتى صوتًا بهذا الغضب المأساوى الصادر من الأعماق.

لاتينو : **(معتقدًا أن فى الصوت شيئًا من المبالغة)** صوت مسرحى.

ماكس : إنك حقير.

(عامود الإنارة، أى الفانوس، كرياح الخفير أى الحارس، خفر الليل يهبطون من فوق الرصيف برنين الأحذية.)

المُرابى : **(سأل خفير الليل)** ماذا حدث؟

خفير الليل : محاولة هرب من أحد السجناء.

ماكس : لاتينو، لا أستطيع الصراخ الآن... إننى أموت غيظًا، إننى أمضغ القرّاض[1]. هذا الميت نهايته الموت ولا يفزعه ذلك لكن يفزعه الألم والتعذيب... إنها الأسطورة السوداء فى هذه الأيام الحنانة التى تمثل تاريخ إسبانيا... حياتنا فى دائرة الرعب... وصمة عار وغضب، أموت من الجوع راضيًا لأننى لم أحمل عود كبريت كئيبًا فى هذا المهرجان المأساوى.
(ويتجه نحو لاتينو متسائلاً) هل سمعت تعليقات هؤلاء الناس أيها العجوز المبتذل؟ إنك مثلهم، بل أحقر منهم، لأنك تملك قرشًا واحدًا، وتنشر أدبًا ومسلسلات رديئة.

دون لاتينو : إنك كاتب متجول حقير لمغامرات تافهة، خذنى إلى القنطرة لأدعوك أن تصلح من شأنك.

دون لاتينو : ماكس، لا تتطرّف ودعك من هذا الهراء.

---

[1] نبات حار يؤكل يسمى "الكرات".

المشهد الثانى عشر

(منحدر يؤدى إلى عطفة... فى قاع المكان كنيسة ذات زخارف كثيرة... القمر ساطع فوق أجراس الكنيسة السوداء... دون لاتينو وماكس إستريا جالسين على عتبة أحد الأبواب يتفلسفان... فى أثناء حوارهما تتحول السماء إلى زرقاء داكنة تضرب إلى السواد... بعض العصافير تزقزق على حافة سطح الكنيسة لحظة ميلاد الصباح... لقد رحل حرّاس الليل، لكن الأبواب لا تزال مغلقة... البّوابات[1] يستيقظن.)

ماكس : لقد حان الصباح.

دون لاتينو: نعم، هكذا يكون.

ماكس : وما هذا البرد؟!

دون لاتينو: هيا بنا نتجول قليلاً.

ماكس : ساعدنى لأننى لا أستطيع النهوض، لقد خدرنى البرد.

دون لاتينو: لا أدرى، لماذا رهنت معطفك؟!

ماكس : أعرنى معطفك لاتينو.

---

[1] المقصود حارسات العقارات.

دون لاتينو: إنك خيالى، ماكس.

ماكس : ساعدنى على النهوض.

دون لاتينو: انهض أيها العجوز.

ماكس : لا أستطيع.

دون لاتينو: يا لك من مكار.

ماكس : إنك غبى.

دون لاتينو: فى الحقيقة، تبدو ملامحك – الآن – غريبة إلى حد ما.

ماكس : دون لاتينو دى اسباليس، إنك شخصية قبيحة، وسأخلدك فى إحدى رواياتى.

دون لاتينو: فى مسرحية مأساوية يا ماكس.

ماكس : إن مأساتنا يا لاتينو ليست مأساة.

دون لاتينو: فلتكن مأساتنا أى شىء.

ماكس : إنها أكثر من مأساة، شىء محال، غير معقول... إنها القُبح بعينه.

دون لاتينو: لا تلوِ فمك يا ماكس.

ماكس : إننى متجمد.

دون لاتينو: انهض، هيا بنا نتجول.

ماكس : لا أستطيع.

دون لاتينو: دعك من هذا الهراء، وهيا بنا نتجول.

ماكس : خذ بيدى، ساعدنى يا لاتينو على النهوض، أين ذهبت؟

دون لاتينو: إننى بجوارك.

ماكس : **(يهذى)** كيف تحولت إلى ثور دون لاتينو، لم أستطع التعرف إليك، أعِنّى على ذلك أيها الثور الشهير.
نعّر يا لاتينو، إنك القائد، ولو نعّرت سيحضر رئيس التحرير ليصارعك.

دون لاتينو: إنك تفزعنى يا ماكس، دعك من هذا المزاح.

ماكس : لوس أولترائيستس Los Ultraistas[1] ليسوا إلا منافقين. الذى اخترع مذهب القُبح هو هذا الفنان جويا[2]. إن الأبطال الكلاسيكيين رحلوا لكى يتجولوا فى شارع القُط.

---

(١) لوس أولترائيستس Los Ultraistas : حركة أدبية ظهرت عام ١٩١٩م على يد مجموعة من إسبانيا وأمريكا اللاتينية، وتتلخص فى التجديد الكامل لكل ما سبق قلبًا وقالبًا.

(٢) جويا Goya : رسام إسبانى شهير معاصر فى عالم الفن.

دون لاتينو: ماكس، لقد فقدت وعيك تمامًا، إنك تهذى.

ماكس : **(يتحدث عن مذهب القُبح الجديد)** الأبطال الكلاسيكيون أمام مرآة مقعّرة يعكسون القُبح. إن الإحساس المأساوى للحياة الإسبانية يمكن أن نستشعره فقط بفلسفة جمال منظمة بالتشويه المستمر للمجتمع الإسبانى.

دون لاتينو: **(يموء)** ميّاو، إنك – أيضًا – تعكس هذا القُبح يا ماكس.

ماكس : إن إسبانيا هى الوجه القبيح للحضارة الأوروبية.

دون لاتينو: من المحتمل، لكنى أعترض على هذا الرأى.

ماكس : الصورة الأكثر جمالاً تصبح قبيحة فى المرآة المقعّرة.

دون لاتينو: أتفق معك فى ذلك، لكنى أنا شخصيًا أستمتع بالنظر فى المرآة المقعّرة التى فى شارع القِط.

ماكس : بالنسبة إلىَّ، التشويه لا يكون كذلك عندما يستند إلى حسابات دقيقة. إن فلسفتى الجمالية الحالية ترتكز على تحويل الكلاسيكية بحسابات المرآة المقعّرة.

دون لاتينو: وأين هى هذه المرآة؟

ماكس : انظر، إنها فى قاع الكأس.

دون لاتينو: إنك عبقرى.

ماكس : لاتينو، إننى سوف أشوّه التعبير فى المرآة نفسها التى تشوّه الوجوه وكل الحياة الإسبانية البائسة.

دون لاتينو: سننتقل إلى شارع القِط.

ماكس : هيا بنا إلى أى قصر خال، خذ بيدى وقرّبنى إلى الجدار، هُزّنى.

دون لاتينو: **(يتوسل إلى ماكس)** لا تلوِ فمك.

ماكس : إنه عصبى، لا أدرى.

دون لاتينو: لا تمزح.

ماكس : أعِرنى معطفك.

دون لاتينو: **(مؤنبًا)** انظر ماذا فعلت بنفسك، ها أنت الآن فى الهواء.

ماكس : إننى لا أشعر بيدى، وأظافرى تؤلمنى، إننى فى حالة سيئة جدًا.

دون لاتينو: إنك تفعل ذلك لتستدر عطفى.

ماكس : إنك غبى. خذنى إلى باب منزلى، واتركنى أمت فى سلام.

دون لاتينو: حقيقة، لم يستيقظ أحد فى منطقتنا بعد، فلا يزال الوقت مبكرًا.

(دون لاتينو يرتد بظهره إلى الخلف ويبدأ فى طرق أحد الأبواب... صدى الضربات يترك أثرًا فى الدائرة القاتمة الزرقة للمنحدر كما لو كان إجابة لإثارة ما... ساعة الكنيسة تدق خمسة أجراس تحت تأثير دوامة الهواء.)

ماكس : **(ينادى)** دون لاتينو.

دون لاتينو: ماذا تتصور؟ دعك من لَىّ فمك.

ماكس : لو كانت كوليت مستيقظة خذ بيدى لأناديها.

دون لاتينو: لن يصل صوتك إلى هذه السماء الخامسة.

ماكس : **(ينادى)** كوليت، إننى أشعر بالملل.

دون لاتينو: لا تنس زميلك.

ماكس : **(يهذى)** الجنازة؟ يبدو أننى استعدت بصرى، لكن كيف أتينا هذه الجنازة؟
هذه العربة الفاخرة من باريس، نحن فى جنازة ڤيكتور هوجو، اسمع، لاتينو، نحن نتبعه إلى القبر، سنموت بعده.

دون لاتينو: لا تهذِ يا ماكس.

ماكس : غير معقول، ماذا أرى؟!

دون لاتينو: تَعلم أنك تعرضت لحالة الهذيان تلك من قبل.

ماكس : من الذى سندفنه بعد ذلك يا لاتينو؟

دون لاتينو: إنه سر نجهله.

ماكس : كيف تبرق الشمس فى عربة الموتى؟

دون لاتينو: ماكس، إذا لم يكن كل الذى تقوله دعابة فإنه يأخذ معنى صوفيًا... جنازتى هى القادمة... لابد أن يكون المتوفى هو أنا... لكن كل هذه الأكاليل من الزهور تجعلنى أعتقد أن المُتوفى سيكون أنت.

ماكس : سوف أطمئنك لكى أخلع عنك من الفأل، إننى أرقد منتظرًا، أنا المتوفى، ماذا تقول غدًا... هذه الصحافة المبتذلة؟ سوف يتساءل القطالونى[1] المنبوذ (يقصد زميله الذى كان معه فى السجن).

(ماكس إستريا يرقد فى مدخل باب منزله... كلب ضالّ يعبر منحدر الشارع... يجرى بشكل متعرّج... فى وسط الطريق ينكمش ذيله ويتبول... عيناه... مكسوتان بالغَمْص[2] مثل الأديب... قامته تطاول أعلى نجمة فى زرقة السماء.)

---

[1] نسبة إلى مقاطعة قطالونيا.

[2] وهو ما يسميه العامة (العُماص).

ماكس : لاتينو، غنِّ لى الأغنية الجنائزية.

دون لاتينو: لو ظللت تهذى هكذا يا ماكس، وتمزح بأغنية المقابر سوف أتركك.

ماكس : أنا الذى سوف يذهب إلى الأبد.

دون لاتينو: انهض يا ماكس، هيا بنا نمشِ.

ماكس : إننى ميت.

دون لاتينو: إنك تفزعنى، ماكس، هيا بنا نمشِ، تماسك، لا تلوِ فمك يا ملعون، ماكس، ماكس أيها اللعين، أجبنى.

ماكس : الأموات لا يتكلمون.

دون لاتينو: قطعًا سأتركك.

ماكس : طاب مساؤك.

(دون لاتينو دى اسباليس ينفخ فى أصابعه المتجمدة من البرد... يمشى بضع خطوات متخفيًا تحت معطفه الردىء القذر... يدور حول ماكس إستريا وهو يسعل، ويحاول مساعدته على النهوض، ثم يهمس فى أذنيه.)

دون لاتينو: ماكس، إنَك مُغيّب تمامًا، وستكون جريمة لو تركتك هكذا ومعك حقيبتك التى ربما تُسرق منك. ماكس، سآخذ حقيبتك وأردها إليك غدًا.

(أخيرًا يرتفع من خلف أحد الأبواب صوت مبحوح لإحدى الجارات... يترامى إلى الأسماع صوت خطوات داخل المدخل... دون لاتينو يتسلل من أحد الشوارع ويفر هاربًا.)

صوت إحدى الجارات ينادى: سيدة فلورا، سيدة فلورا، لقد التصقت ملاءات سريرك بالفراش[1].

صوت البوّابة: من ينادى؟ انتظر حتى أجد صندوق المفاتيح.

الجارة : سيدة فلورا.

البوّابة : سأخرج الآن. من ينادى؟

الجارة : هل أنتِ الخادمة؟ من ستكون؟ أنا كوكا. حضرت لكى أبدأ فى الغسيل...

البوّابة : آى، ثانية واحدة، هل هى ساعات؟

الجارة : ساعات وأكثر من ذلك.

---

[1] تقصد أنها تأخرت فى الاستيقاظ.

(يسمع بعد ذلك وقع (صندل) سيدة منهكة من العمل... همس الأصوات مستمر... صوت صرير القفل... يظهر من فتحة الباب سيدتان: إحداهما ذات شعر أبيض... مليئة بالحيوية... تحمل على ظهرها كيسًا به ملابس... والأخرى امرأة فى متوسط العمر... ممتلئة الجسد... ذات شعر أشعث... ترتدى تنورة ملونة وتضع إيشاربًا رديئًا فوق كتفيها و(صندلاً) فى قدميها.

جثة البوهيمى (ماكس) تنزلق وتبقى فوق المدخل عندما يُفتح الباب.)

الجارة : يا إلهى، رجل ميّت!

البوّابة : إنه دون ماكس الأديب، ماذا حدث له؟

الجارة : إنه بلون الشمعة البيضاء.

البوّابة : كوكا، أستحلفكِ أن تنتظرى لحظة حتى أصعد إلى مدام كوليت زوجته لأناديها.

(البوابة تصعد السلّم مخلفة وراءها صدى وقع صندلها وتلعن الظروف.

كوكا ترى نفسها وحيدة... تلمس – بغطرسة – يدى البوهيمى... تنظر إلى عينيه المتواريتين تحت جبينه المائل إلى الزرقة القاتمة.)

الجارة : يا إلهى، إن هذا ليس من شرب الخمر، إنه الموت. لقد أتت لحظته. سيدة فلورا، سيدة فلورا، لا أستطيع الانتظار أكثر من ذلك، لقد ضاع منى ربع النهار، سيدة فلورا، الموت حتمى.

المشهد الثالث عشر

(سرادق العزاء حيث تبدو علامات الحزن على مدام كوليت زوجة ماكس، وابنته كلودينيتا... وهما شاحبتا اللون... تبكيان الفقيد الذى يرقد فى صندوق ضيق ملفوفًا بملاءة ويتوسط أربع شمعات.

لوح خشبى ملقى على الأرض... بريق أحد المسامير يضىء فوق الصُدغ المنعزل... الصندوق مدهون باللون الأسود... عليه نجمة مصفرّة اللون ومسجًى على بلاط المسكن.

على الجانب الآخر لفيف من النساء فى الأركان يبكين... ضوء الشموع مسلط على أيديهن المتشابكات.

دوريو دى جاديس، كلارنيتو وبيريث متكئون جميعهم إلى الجدار... يشبهون ثلاث دميات ميتة ومعلقة بخيط... يحشرون أنفسهم فجأة داخل مكان العزاء، ويعلق الخطاف السريع لجرس السلم.)

دوريو دى جاديس: (محدثًا كلارنيتو) هل ستقام جنازة فى الساعة الرابعة؟

كلارنيتو : لا يمكن أن تكون فى مثل هذه الساعة.

دوريو دى جاديس: (يسأل مدام كوليت) مدام كوليت، أتحملين ساعة يد؟

مدام كوليت : **(متأثرة من حزنها)** لا تحملوه من أمامى بعد، لا، لا تحملوه. **(تريد أن تبقى جثة زوجها أمام عينها مدة أطول).**

دوريو دى جاديس: **(متسائلاً وساخرًا)** لا أحد يملك ساعة يد. لا شك أننا جميعًا أغنياء.

(ينبعث ضجيج من الخارج... سعال دون لاتينو دى إسباليس تفوح منه رائحة تبغ كلاسيكى معتق وخمر... وبخطوات متعثرة تخرج كلودينيتا لتفتح الباب.)

دون لاتينو : **(يواسى كلودينيتا)** لقد مات العبقرى، لا تبكِ يا بنيتى، لقد مات، ولن تموت العبقرية، إنها خالدة. اهدئى يا كلودينيتا فأنتِ ابنة شاعر إسبانيا الأول... أعظم شاعر فى إسبانيا... لكِ أن تهدئى لأنكِ ابنة فيكتور إيجو إسبانيا، إنكِ اليتيمة اللامعة... دعينى أحتضنكِ.

كلودينيتا : **(تنفر منه)** إنك مخمور.

دون لاتينو : يبدو علىَّ ذلك، إنه الألم بدون شك.

كلودينيتا : إن قطرات الخمر تتساقط من فمك.

دون لاتينو : إنه الألم، انطباع الألم، هذا شيء مدروس عند الألمان.

(دون لاتينو يترنح عند الباب... بيده حقيبة ومجلات معلقة بحزام... يحمل نظارة مرفوعة على جبهته... بمنديل قذر ينظف عينيه اللتين ينطلق منهما شرر... يجر وراءه كلبه الصغير مبتور الذيل والأذن.)

كلودينيتا : لقد حضرت فى ميعادك تمامًا.

دوريو دى جاديس: **(معقبًا)** دائمًا منضبط من أجل الجنازة.

دون لاتينو : إن ماكس أخى إذا كان أصغر منى سنًا........

دوريو دى جاديس: **(يستكمل العبارة)** إلا أنه أعلى قدرًا، نحن نرى ذلك.

دون لاتينو : تمامًا كما قلت أيها السافل.

دوريو دى جاديس: لقد قالها المايسترو من قبلك. **(يقصد ماكس إستريا)**.

دون لاتينو : **(موجهًا الحديث إلى مدام كوليت)** مدام كوليت، لقد أصبحتِ أرملة مشهورة، يجب أن تشعرى بالفخر وسط حزنك العميق لأنك كنتِ رفيقة عمر شاعر إسبانيا الأول... أعظم شاعر فى إسبانيا... لقد مات فقيرًا كما يجب أن يموت

العباقرة **(يتوجه نحو الجثمان)** ماكس، أما من
كلمة تقولها لكلبك المخلص الأمين لاتينو؟
ماكس أخى، إذا كنت أصغر سنا، فأنت
أعلى......

دوريو دى جاديس: (يستكملها مرة أخرى) قدرا.........

دون لاتينو : أخيرًا استطعت أن تتركنى أكمل المسيرة وحدى.
يا شباب الحداثة، لقد مات المايسترو، وفى
حياته كنا نتنادى بدون ألقاب دون كلفة.
لقد راهنت هذا الجثمان البارد على من منا
سيُقدم على هذه الرحلة الخالدة، رحلة الموت،
أولاً، ولقد انتصر هو علىّ كما كان يفعل دائما
فى كل شىء... كم من مرّةٍ تجاوزنا هذه
المراهنة. هل تتذكر يا أخى؟ **(متوجهًا نحو
الجثمان)** لقد مِتَ من الجوع كما سأموت أنا
أيضًا، ومثلما سيموت جميع الإسبان الشرفاء...
لقد سدّت فى وجهك كل الأبواب، وانتقمت
لنفسك من الجوع بالموت... لقد فعلت خيرًا،
وسيقع هذا العار على تيوس الأكاديمية... إن
الموهبة فى إسبانيا أصبحت جريمة.

(ينحنى دون لاتينو ليقبل جبين المُتوفَى وكلبه مستقر عند أسفل الصندوق يهز ذيله المبتور مع اهتزاز ضوء الشموع.

مدام كوليت ترفع رأسها بإيماءة حزينة... تتجه نحو الدميات الثلاث المتراصة أمامها.)

مدام كوليت : بالله عليكم احملوه إلى الممر.

دوريو دى جاديس: (مشفقًا عليها) لابد من إعطائها شيئًا من النشادر يخفف عنها... لعله يهدئ قليلاً من رَوْعها.

كلودينيتا : إذن لابد أن تنام، **(توجه الحديث بعد ذلك إلى دون لاتينو)** إننى أمقتك.

دون لاتينو : أيتها الزهرة المبكرة.

كلودينيتا : **(مؤنبة دون لاتينو)** لو لم يخرج أبى معك بالأمس لما حدث ما حدث، ولكان حيًا بيننا الآن.

دون لاتينو : كلودينيتا، إن الألم يعتصرك، إنكِ تتهميننى بالباطل، إن الألم يعميكِ عن الحقيقة.

كلودينيتا : **(تكيل له السباب)** إنك صعلوك، دائمًا مخرّب.

دون لاتينو : أنا أعلم جيدًا أنكِ تحبيننى.

دوريو دى جاديس: هيا بنا نتجول فى الصالة يا دون لاتينو.

دون لاتينو : هيا بنا، فالمنظر هنا مؤلم جدًا.

دوريو دى جاديس: لا داعى إذن إلى البقاء هنا.

(دوريو دى جاديس يدفع العجوز المنهك دون لاتينو نحو الباب... الكلب يقفز من فوق صندوق المتوفى... يتبعهما تاركًا خلفه بقية ذيله المعوجّة.

ويصطف دوريو دى جاديس وكلارنيتو وبيريث ملتصقين بالجدار ومن خلفهم كوّة مليئة بالغموض.)

دون لاتينو : سأعزمك على مشروب، ما قولك فى هذا؟

دوريو دى جاديس: (منحنيًا) إنك تعلم يا دون لاتينو أننى رجل مجامل.

(ثم يختفيان فى ظلام الممر الطويل الموحش ومعهما القط الواقف على حافة الصيدلية ذات البلاط الصغير الترابى اللون... كلودينيتا تلمحهما يخرجان وأعينهما تبرق... تنخرط الفتاة بعد ذلك فى البكاء بطريقة هستيرية، وتعض على المنديل المعلق بين يديها.)

كلودينيتا : لقد أغاظنى... لن أستطيع رؤيته مرة أخرى بعد ذلك، هذا الرجل هو قاتل والدى (تقصد دون لاتينو).

مدام كوليت : أستحلفكِ بالله يا بنيتى، كفّى عن هذا الهراء.

كلودينيتا : إنه القاتل الوحيد، سوف أسحقه.

مدام كوليت : إنها حقًا مصيبة فادحة أن تأتينا هذه اللحظة مع أننا كنا ننتظرها... لقد قتله الحزن لكونه ضريرًا... لا يستطيع العمل، ولقد استراح هكذا.

كلودينيتا : سوف ترين الآن كيف يعترف الجميع بموهبته.

بيريث : **(مطمئنًا إياها)** لن يذهب كل ذلك هباء.

مدام كوليت : لن يتحقق هذا دون تأييدكم ومساندتكم أيها الشباب الذى يكافح مكابدًا الشقاء. لقد كان من الممكن أن يعترف به الجميع فى الآونة الأخيرة.

كلودينيتا : أكثر من أى وقت مضى.

بيريث : كان المايسترو[1] رجلاً متمردًا مثلنا.

مدام كوليت :**(ترثى زوجها)** ماكس، الصديق المسكين، أنت وحدك الذى قتلت نفسك. أنت فقط دون أن تفكر فى هاتين

---

[1] يقصد ماكس

السيدتين البائستين[1] وطيلة عمرك كنت تعمل بطريقة انتحارية كأنك تريد أن تقتل نفسك.

كلودينيتا : والدى، كان إنسانًا طيبا جدًا.

مدام كوليت : كان مسيئًا لنفسه فقط.

(يظهر أمام الباب رجل طويل القامة... يرتدى سترةً كثيرة الأزرار... ذو لحية كبيرة حمراء اللون ليهودى فوضوى... له عينان حاقدتان فوق شارب ردىء اللون. إنه صحفى ألمانى ماكر... مسجل فى دفاتر الشرطة على أنه روسى فوضوى... معروف باسمه الزائف... باسيليو سوليناك.)

باسيليو سوليناك: سلامًا على الجميع.

مدام كوليت : معذرة يا سيد سوليناك، ليس لدينا كرسى واحد نقدمه لك لكى تجلس.

باسيليو سوليناك : لا تشغلى بالك بشخصى أبدًا... لقد جئت لأواسيكِ، ولا تؤاخذينى على حضورى متأخرًا بعض الشىء مثل سكان منطقة شمال بلچيكا. كما تقولون دائمًا أيها الإسبان... لقد كنا فى

---

[1] تقصد نفسها وابنتها.

الحانة نشرب (...) ثم أبلغونى الآن فقط قبل حضورى أن صديقى ماكس قد توفى.
لقد أعطانى الصحيفة بيكالا جارتوس.
هل كانت وفاته مفاجئة؟

مدام كوليت : انهيار حتمى، لقد كان يهمل نفسه.

باسيليو سوليناك : من الذى استخرج لكم شهادة الوفاة؟

الأطباء فى إسبانيا ممتازون مثل أكفأ أطباء العالم، لكن ينقصهم أن يكونوا متخصصين، على عكس ما يحدث فى ألمانيا. لقد درست الطب عشر سنوات، لكنىِ لست طبيبًا.

إن انطباعى الأول عند دخولى هنا أننى أمام رجل نائم، ولست أمام رجل متوفى أبدًا، وأنا مصّر على هذا الانطباع الأول على حد قول الإسبان. **(ويستمر فى حديثه قائلاً)** مدام كوليت، إنكِ مسئولة مسئولية كاملة عن هذا، إن صديقى ماكس ليس ميتًا؛ وإنما هو مَغْشىٌ عليه.

(مدام كوليت وابنتها كلودينيتا تتعانقان صائحتين... فجأة تحدق أعينهما... أيديهم تتشنج حول جبينهما وشعرهما المجعد... تأتى مدام فلورا وهى تلهث... تجر وراءها شخير صندلها.)

مدام فلورا (البوّابة): لقد جاءت عربة الموتى، هل عددكم كاف لكى تستطيعوا الهبوط بجثة المرحوم، أو يصعد زوجى لمعاونتكم؟

كلودينيتا : شكرًا، نحن مستعدون.

باسيليو سوليناك : **(موجهًا حديثه إلى البوّابة)** يجب عليكِ أن تخبرى سائق عربة الموتى بتأجيل الدفن، وعليه أن يذهب ليستنشق هواء نقيًا كما تقولون حضراتكم الإسبان، أليس كذلك؟!

مدام كوليت : تمهل... من الممكن أن تكون مخطئًا يا باسيليو.

البوّابة : الشارع يعّج بقبعات وشخصيات، وإذا لم أخطئ، فهناك سيارة ذات عداد كلما طال انتظارها زاد أجرها، انتبهوا أيها السادة، ها هو ذا العَالم، يبدو أن الجنازة كما لو كانت لنائب فى مجلس البلدية.

لم أكن أتصور أن هذا الحشد سوف يأتى لتشييع الجنازة. **(وتتجه نحو مدام كوليت)** مدام كوليت، ماذا أقول لسائق السيارة؟ لأن هذا العم لن

ينتظر، يقول إن عنده رحلة أخرى فى شارع كارلوس روبيو.

مدام كوليت : إننى لست متأكدة.

البوابة : هناك أربع طرق، يجب أن تعلمى أنه لن ينتظر أكثر من ذلك.

كلودينيتا : فليذهب، ولا يَعُدْ.

مدام كوليت : لن يستطيع الانتظار... دون شك.

البوّابة : ستتكلفين الضّعف لتأخير الجثة ساعات أكثر في المنزل، دعيهم يأخذوه يا مدام كوليت.

مدام كوليت : **(متأثرة بكلام باسيليو)** وإذا أخذوه ولم يكن متوفَى.

البوّابة : **(متعجبة من كلام كوليت)** إذا لم يكن قد توفى؟! إذا لم تتخلصوا من هذه الفكرة فلن تستوعبوا حجم الضرر الذى سوف يقع.

باسيليو سوليناك: **(محدثًا البوّابة)** بالله عليكِ يا سيدتى، هل أتممت دراسات جامعية حول الطب؟ إذا كنتِ قد فعلت ذلك سأكف عن الحديث، ولن أتكلم بعد الآن، وإذا

لم تكونى فعلتِ فتجنبى الاشتباك معى عندما أقول أنا إنه غير متوفى؛ بل مغشىّ عليه.

البوّابة : **(متعجبة)** غير متوفى! بل مُتوفى ومتعطن.

باسيليو سوليناك: سيادتكِ، دون دراسات جامعية لا تستطيعين أن تجادلينى. إن الديمقراطية لا تمنع التفاوت التقنى، أنتِ تعلمين ذلك يا سيدة فلورا.

البوّابة : لقد استنفذنا وقتًا طويلاً فى هذا الجدل، هل هو متوفى أو لا؟ **(وتوجه الحديث إلى زوجة المتوفى)** مدام كوليت، هل لديكِ مرآة؟ ضعيها فوق فمه، وسوف ترون حضراتكم أنه لا يتنفس.

باسيليو سوليناك: هذه تجربة غير علمية، كما تقولون دائمًا أنتم الإسبان: "إننى سعيد جدًا لرؤياك بخير" أليس كذلك؟!

البوّابة : لقد حضرت هنا سيادتك لكى تعقد اجتماعًا سياسيًا، وتهيج بخداعك هاتين السيدتين البائستين اللتين ينوء كاهلاهما بما يكفى من الهموم والديون.

باسيليو سوليناك: تستطيعين الاستمرار فى هذا الحديث يا سيدة فلورا، سترين الآن أننى لن أقاطعك بعد.

(يظهر على حافة الباب سائق عربة الموتى..... ورائحة الخمر تفوح من أنفه... إنه رجل مازح بارع فى النكات... يرتدى سترة حداد بالية، وباروكة من نسالة قماش، وركبتين سوداوين.)

السائق : الساعة الآن الرابعة، وعندى زبون آخر فى نهاية شارع كارلوس روبيو.

باسيليو سوليناك: مدام كوليت، على مسئوليتى، لأننى رأيت ودرست حالات إغماء فى مستشفيات ألمانيا، إن زوجك صديقى ورفيقى ماكس إستريا ليس متوفًى.

البوّابة : (ثائرة) أرجوك يا سيد، لا تُحدث بلبلة، مدام كوليت، أين توجد مرآتك؟

باسيليو سوليناك: إنها تجربة غير علمية.

السائق : ضع له ثقاب كبريت مشتعلاً فى إصبع الإبهام، فإذا اكتمل حتى النهاية، فإنه يكون ميتًا جدًا تمامًا، ومعذرة يا حضرات لو كنت أخطأت.

(السائق الجنائزى يلتقط عود ثقاب من الأرض ويشعله من الشمعة... يقترب من التابوت ويفك يدى المتوفى... يقرب عود الثقاب المشتعل من الكفّ المصفر اللون... يضعه أمام وسط الإبهام فيظل مشتعلاً إلى نهايته ويحتضر.)

كلودينيتا : **(تصرخ ألمًا)** والدى، والدى، والدى العزيز.

المشهد الرابع عشر

(فناء المدافن الشرقية... لحظة من لحظات الغسق مائلة إلى البرودة... الرياح عابسة... شعاع الغروب ينعكس على جدار الأسوار فيوحى بجفاف مريع.

اثنان من الحانوتية يحفران الأرض لتجهيز المقبرة... يخرجان ولاعة... يتناولان أعقاب السجائر من خلف آذانهما... يجلسان على حافة المقبرة، ويدخنان.)

الحانوتى الأول: كان هذا الإنسان رجلاً صاحب قلم.

الحانوتى الآخر : كانت جنازته متواضعة.

الحانوتى الأول : أوراقه الخاصة تفيد بأنه رجل موهوب.

الحانوتى الآخر : إن الموهبة فى إسبانيا لا تقدر حق قدرها؛ السرقة والنهب والسلب والوقاحة، كل ذلك هو ما يقدر، يكافأ فقط كل ما هو سيئ.

الحانوتى الأول : لا داعى إلى النظر إلى كل شىء بمنظار أسود هكذا.

الحانوتى الآخر : (**يضرب مثلاً**) خذ مثلاً ألبيودى آريت Al Piolo de Arete[١]!

الحانوتى الأول : ماذا فعل؟

الحانوتى الآخر : يمشى كالملك، مع أنه إنسان شرير. انظر إليه وهو يتنعم فى حب أرملة أحد رؤساء البلدية.

الحانوتى الأول : قل إنه يتمتع بحب أرملة أحد لصوص البلدية.

الحانوتى الآخر : لو افترضنا ذلك، فهل تظن أن سيدة لها مكانتها تفتن بمثل هذا الشخص؟

الحانوتى الأول : العمى يا صديقى، إنه من سمات الجنس البشرى عندما يحب.

الحانوتى الآخر: لا فرق بين الموهبة التى تأخذ حظها واللصوصية، يا صديقى، فالقانون لا يفرق بينهما.

الحانوتى الأول: هل تعرف هذه السيدة؟ هل هى حسنة السير والسلوك؟

الحانوتى الآخر: إننى أعرف أنها سيدة مكتنزة، ترتعد أردافها عندما تمشى، إنها مليحة.

---

(١) ألبيودى آريت Al Piolo de Arete: شخصية سياسية إسبانية اشتهرت بالفساد.

الحانوتي الأول : يا لحظّ تلك السيدة اللئيمة.

(فى أحد الشوارع الحجرية والمليئة بالمنحنيات يظهر رجلان. يتحدثان... يتحدثان بصوت خفيض... يمشيان الهوينى... يبدوان كأنهما روحان مليئان بالاحترام العميق لفكرة الموت... إنهما صديقا ماكس إستريا... أحدهما فارس عجوز ذو لحية بلون الثلج ومعطف معلق على كتفيه... إنه الماركيز دى برادومين El Marques de Bradomin[1]، والآخر ذلك الهندى الفيلسوف الشاعر روبين داريو Ruben Dario[2].)

روبين داريو : إنه لشيء مخيف، ولا يخلو من مغزى أن نلتقى بعد هذه السنوات فى إحدى المقابر.

الماركيز : إنها ساحة الشرف... إننا فى المدافن الكاثوليكية... لقاؤنا فى هذا المكان يحمل معنى مختلفًا تمامًا.

روبين داريو : هذا صحيح، فلا مدافن... لا مقابر... إنها أسماء باردة وحزينة وفظيعة مثل دراسة علم النحو. **(يتوجه إلى صديقه متسائلاً)** ماذا تعنى بالنسبة إليك كلمة مقابر؟

---

(١) الماركيز دى برادومين El Marques de Bradomin: شخصية أدبية شهيرة.

(٢) روبين داريو Ruben Dario: شاعر من نيكاراجوا، ورائد الحداثة فى أمريكا اللاتينية.

المـاركيز : إنها ادعاءات أكاديمية.

روبين : إن كلمة مقابر بالنسبة إلىّ نهاية كل شيء... تعنى كل ما هو غير قابل للإصلاح... كل ما هو فظيع، تمثل لى أيضًا الكسل دون أمل تحت سقف غرفة بأحد الفنادق، أما ساحة الشرف التى تقصدها فلها بريق آخر.

المـاركيز : لها قبة ذهبية يجلجل تحتها البوق المزعج غير العادى يا عزيزى روبين.

روبين : ماركيز، إن الموت – فى أحيان كثيرة – قد يكون مريحًا إذا لم يتملكنى إحساس بالرعب من المجهول. وإننى كنت سأصبح أكثر سعادة لو كنت أحيا فى أثينا قبل ثلاثة آلاف عام من الآن.

المـاركيز : إننى لا أغير كونى كاثوليكيًا – ولو للحظة واحدة– مقابل ابتسامة أحد الإغريق السفهاء. إننى أتمنى أن أكون مخلدًا فى هذه الدنيا بخطيئتى.

روبين : مدهش.

المـاركيز : روبين، ربما تكون الحياة أكثر هدوءًا فى اليونان من حياتنا هنا.

أولئك الرجال عرفوا كيف يقدسون الحياة، ونحن نؤله الموت، الحياة ليست إلا لحظة. إن الحقيقة الوحيدة فى الحياة هى الموت، وإننى أفضل الميتة الكاثوليكية.

روبين : يا لها من فلسفة تخرج من فم نبيل إسبانى، مدهش ماركيز، لن نتحدث عن الموت مرة أخرى.

(يكفان عن الحديث... يمشيان فى صمت... الحانوتيان يشربان من إبريق فخارى يخرج الماء منه قطرة بعد قطرة... ينتهيان من حفر الأرض... يضعان شاهدًا على شكل مربع أسود فوق السور الحجرى الأبيض... الماركيز وروبين ينتظران أمام البقعة السوداء لهذه الأرض المحفورة.)

روبين : ماركيز، كيف أصبحت صديقًا لماكس إستريا؟

الماركيز : كان ماكس ابنًا لأحد "الكباتن" التابعين لحزب الأمير دون كارلوس[١] وتُوفى بجانبى فى أثناء الحرب. هل حكى لك شيئًا آخر.

روبين داريو : لقد حكى لى أنكما حاربتما معًا فى ثورة ما، هناك فى المكسيك.

---

(١) Los Carlistos: الكاروليون التابعون لحزب الأمير كارلوس.

الماركيز : يا له من ماضٍ، لقد ولد ماكس بعد رحلتى إلى المكسيك بثلاثين عامًا. هل تعلم سيادتك كم عمرى الآن؟ بعد انقضاء وقت قصير أحمل وراء ظهرى عصرًا بكامله، سألحق بك بعد قليل أيها الشاعر العزيز.

روبين : إنك خالد يا ماركيز.

الماركيز : إننى أخشى ذلك، لكن صبرًا.

(يبدو ظل (الحانوتيين) الأسود وعلى كتفيهما تلمع الفئوس... يقتربان من شارع المقابر... يقتربان.)

الماركيز : هل ترى أنهما فيلسوفان مثل فلاسفة أوفيليا؟

روبين : هل عرفت بعض الأوفيليات يا ماركيز[1]؟

الماركيز : فى سن المراهقة، كل الفتيات كُنّ عندى أوفيليا، لقد كانت تلك المخلوقة غير جميلة يا عزيزى روبين، لكن الأمير كان أحمق مثل كل الأمراء.

روبين : ألم تحب سيادتك وليم البارع؟

---

(١) نقصد أوفيليا بطلة مسرحية هاملت لوليم شكسبير.

المـاركيز : كنت أعده أستاذى فى أثناء نزواتى الأدبية. إنه لمن العجيب أن يبدع أجمل تراچيديا من خلال فيلسوف خجول وفتاة حمقاء تملؤها البراءة.
إن هاملت وأوڤيليا يا عزيزى روبين يعدان فى الدراما الإسبانية نموذجين مبهرين: رجلاً خجولاً وفتاة حمقاء أشبه بما كان يمكن أن يبدعه إخوان كينتروس الخالدون[١].

روبين : كلنا فينا شيء من هاملت.

المـاركيز : سيادتك لا تزال قادرًا على ممارسة الحب، أما أنا فلا أستطيع بعد تلك السنين التى أحملها. إننى أقترب من أن أصبح Calavera de Yorik[٢].

الحانوتى : أيها السيدان لو كنتما تبحثان عن مكان للخروج من هنا، تعاليا معنا لأن الباب سوف يغلق.

روبين : هذا شيء مرعب.

المـاركيز : فلنتبعهما.

---

(١) الإخوان كينتروس ثلاثة كتاب مسرح إسبان؛ سيرافين (١٨٧١ – ١٩٣٨)، خواكين (١٨٧٣ – ١٩٤٤)، وآلفارس كينتروس؛ كانوا يستوحون أعمالهم من عادات أهل الأندلس، ونالوا شهرة واسعة جعلتهم يعرفون دائمًا بـــ (الخالدون).

(٢) أبو الهول: ويقصد بها أنه إنسان معمر يقترب من النهاية ولا يستطيع ممارسة الحب.

روبين : ماركيز، هل تريد العودة غدًا لكى تضع صليبًا على قبر صديقنا ماكس؟

الماركيز : غدًا؟ تقول غدًا؟ عندما يأتى الغد نكون قد نسينا ذلك.

روبين : من الممكن.

(يتباطآن فى صمت... يتبعان طريق الحانوتيين اللذين يعودان إلى حافة شارع المقابر ويقفان لانتظارهما.)

الماركيز : سنوات عمرى لا تسمح لى بالمشى أسرع من ذلك.

الحانوتى : لا تعتذر يا سيدى.

الماركيز : لم يبق إلا قليل من الزمن كى أتم عصرًا بكامله.

الحانوتى الآخر: إذن، لقد رأيت سيادتك جنازات كثيرة.

الماركيز : إذا كنتما تمارسان هذا العمل من فترة طويلة فمن المحتمل أن تكونا قد رأيتما جنازات أكثر منى. وهل يموت أناس كثيرون فى هذا الموسم؟

الحانوتى : لا ينقصنا عمل، نعم يموت أناس كثيرون من أطفال وشيوخ..

الحانوتى الآخر: **(يعلق)** سقوط الورقة يعنى سقوط صاحبها.

الماركيز : وهل يعطونكما أجرًا مقابل عملية الدفن؟

الحانوتى : يدفعون إلينا أجرًا يوميًا ثلاث بيزيتات فقط مهما كان عدد الموتى، وهذا لا يكفى حتى كسرة الخبز الردىء فى عصرنا هذا. إنها مأساة حقًا.

الحانوتى الآخر: بعض العائلات عندما تفقد أحد أعضائها تدفــع إلينا – بالإضافة إلى أجرنا – "بيزيتا" أو اثنتين لنهتم ونعتنى بالمدفن، ونصادف من يعد بذلك ولا يدفع، معظم العائلات تدفع أول الشهر، ويمر العام ومن بين كل مائة يدفع واحد. إن الألم لا يدوم كثيرًا، فالناس لا يحزنون على المتوفى إلى الأبد.

الماركيز : هل صادفتك أرملة لا تتقبل العزاء؟

الحانوتى : لم يحدث بعد، ولكن يمكن أن يحدث ذلك مستقبلاً.

الماركيز : ألم تسمع عن أرتمسيا ومارسولينو؟

الحانوتى : ليست عندى أدنى فكرة.

الحانوتى الآخر: يأتى إلى هنا أقارب كثيرون ويتلاقون فى هذه الأماكن، وليس من السهل معرفتهم جميعًا.

(يمشون ببطء شديد... روبين مستغرق فى التفكير... يكتب بعض الكلمات على مظروف خطاب... يصلون إلى الباب... يترامى إلى

الآذان صوت صرير الحاجز الحديدى... يخرج الماركيز يديه العاجيتين بلطف من معطفه ويوزع بعض النقود على "الحانوتيين".)

الماركيز : لا تعرفان الأساطير، لكنكما فيلسوفان صابران، فلتستمرا فى رؤية جنائز كثيرة.

الحانوتى : رهن أمرك يا سيدى، شاكرين أفضالك.

الحانوتى الآخر: تمامًا، نحن فى خدمتك يا سيدى.

(يخلعان الكاب من فوق رأسيهما... يحييان مبتعدين... الماركيز دى بروادومين يلتف بمعطفه مبتسمًا.

روبين داريو يحتفظ فى يديه بمظروف الخطاب الذى كتب عليه سطورًا قليلة... تاركًا الرياح الآتية من السحاب المظلم... سيارة الماركيز العجوز تقترب من الباب.)

الماركيز : هذه أبيات شعر يا روبين؟ هل تسمح لى بقراءتها.

روبين : عندما أكملها... إنها لا تزال مسوّدة.

الماركيز : أبيات الشعر يا عزيزى يجب أن تنشر بجميع مراحلها من لحظة ميلاد الفكرة حتى وصولها إلى الشكل النهائى؛ هكذا تكون لها قيمة أكبر مثل تجارب الحفر على الألواح المعدنية.

روبين : غدًا يا ماركيز.

الماركيز : أمام سنوات عمرى هذه، وعلى عتبة المدفن لا يجب النطق بكلمة غدًا، أخيرًا فلنصعد إلى السيارة لأننا لابد أن نزور قاطع الطريق[1]... أريد أن تساعدنى فى بيع مخطوط مذكراتى للناشر... ذلك اللص... إننى أحتاج إلى نقود... مفلس تمامًا منذ أن بعت منزل العائلة الريفى. لم تقضِ علىَّ النساء اللاتى أحببتهن كثيرًا؛ لكن قضى علىَّ محصول الزراعة.

روبين : مدهش.

الماركيز : مذكراتى سوف تنشر بعد وفاتى. إننى أبيعها كما لو كنت أبيع هيكلها... ساعدنى على ذلك.

---

(1) اللص.

المشهد الأخير

(المكان، حانة بيكالا جرتوس... ضوء خافت، يرتعش ارتعاشة صفراء... دون لاتينو دى إسباليس يجلس إلى مائدة متمتعًا... يُصر على دعوة زعيم الـ Pay – pay[1].)

دون لاتينو : اشرب صديقى، فأنت لا تدرى بما يعتصر قلبى من ألم، إننى أشرب حتى الثمالة.

أحد الشبان : **(بمكر)** إنك تفعل ذلك لأن سيادتك لست إسبانيًا قُحًا.

دون لاتينو : لقد دفنا اليوم شاعر إسبانيا الأول. أربعة أشخاص فقط كانوا فى جنازته. لم يحضر أى خنزير يمثل المجمع اللغوى، فما رأيك فى هذا يا فينانسيو؟

بيكالا جرتوس : رأيى من رأيك يا دون لاتينو.

دون لاتينو : إن للعبقرية نورًا يبرق... يلمع... يشع ... أليس كذلك يا زعيم.

الشاب (الزعيم): نعم يا دون لاتينو.

---

(١) اسم يطلق على إحدى الشخصيات.

دون لاتينو : لقد أخذت على عاتقى مسئولية نشر أعمال ماكس إستريا. إنه شرف الواجب، إننى المكلف بتنفيذ هذه الوصية، والعائد بكامله سيكون لعائلته. لا يهمنى إذا أفلست بسبب نشر هذه الأعمال، إنه واجب الصداقة، تمامًا مثل واجبنا عندما نقاسى آلام الغربة. إن أملى فى نشر أعمال ماكس إستريا لن يموت، حتى لو أدى لى ذلك إلى الإفلاس.

أيها السادة، ألا يحضر أحد ممثلاً للمجمع اللغوى شيء عادى، ولكن لا يحضر إلا الأصدقاء الأربعة: وزير الداخلية، برادومين، روبين داريو، وهذا المواطن **(مشيرًا إلى نفسه)**، فهذا شيء عجيب، أليس كذلك يا زعيم؟!

الشاب : **(بسخرية)** إذا أردت أن أقول إن الأميرة قد حضرت سأقول.

بيكالا جرتوس: يُخيل إلىَّ أنك تبالغ عندما تقول إن السياسة كانت ممثلة فى جنازة ماكس إستريا، وإذا أصررت على ذلك سوف تجر على نفسك المتاعب.

دون لاتينو : أنا لا أكذب، قد كان وزير الداخلية موجوذا بالفعل، وقمنا بتحيته.

صبى الحانة : من الجائز أن يكون فانتوماس Fantomas.

دون لاتينو : اخرس أيها الحقير، دون أنطونيو ماورا كان على وشك تأدية واجب العزاء فى منزل مصارع الثيران إلجايو El Gallo.

الشاب : خوسى جوميث إلجايو كان نجمًا لامعًا مات فى الميدان وهو يصارع بكفاءة لأنه كان ملك مصارعة الثيران.

بيكالا جرتوس : (معقبًا) بل كان كالزلزال، مثل أخيه خوان بلمونت Juan Belmonte[١].

الشاب : وكان مثقفاً.

دون لاتينو : (مناديًا الصبى) مزيدًا من الخمر يا بنى. إن هذا اليوم أكثر الأيام حزنًا فى حياتى. لقد فقدت أعز صديق وأخ وأستاذ ومعلم؛ ومن أجل هذا أشرب يا فينانسيو.

بيكالا جرتوس: سيزيد الحساب كثيرًا يا دون لاتينو. راجع ما تبقى من نقود أولاً وأرنى إياه.

دون لاتينو : معى نقود تكفى لشرائك أنت وحانتك.

---

(١) خوان بلمونت Juan Belmonte: مصارع ثيران شهير، وكان شقيق إلجايو.

(يخرج من جيب معطفه حزمة من "البنكنوت" ويلقى بها فوق المنضدة على مرأى من أعين الشاب اليقظة ومن إيماءة المفاجأة المذهلة لفينانسيو... صبى الحانة يمعن فى النظر ويتمنى لو طارت النقود من حوله ويستطيع الحصول على ورقة من تلك النقود الكثيرة التى فى حوزة ذلك السكير... الفتاة لابيسابينى تجلس حزينة فى أحد أركان الحانة... تنزع الإيشارب من على جبينها وتقترب – بفضول – من منضدة دون لاتينو.)

صبى الحانة : هل ورثت يا دون لاتينو؟

دون لاتينو : لقد كان بعضهم مدينًا لى بمبلغ من النقود وحصلتها منهم.

بيكالا جرتوس: إنه مبلغ ليس بالقليل.

لابيسابينى : نحو عشرة آلاف تقريبًا.

دون لاتينو : هل أنا مدين لكم بشىء؟

لابيسابينى : بالطبع نعم، لقد كسبت ورقة يانصيب كنت قد بعتها أنا.

دون لاتينو : غير صحيح.

لابيسابينى : رقم ٥٧٧٥.

صبى الحانة : هذا الرقم بعينه كان مع دون ماكس.

لابيسابينى : خلاصة الأمر أن ماكس لم يردها وأخذها منه دون لاتينو، والآن العم لاتينو – السيئ الأخلاق – لا يريد إعطائى "بقشيشًا".

دون لاتينو : أنا لا أتذكر ذلك.

لابيسابينى : إن ذاكرتك قد استُهلكت؛ ولذلك لا تفكر.

دون لاتينو : **(يسترضيها)** سوف أعطيكِ.

لابيسابينى : سنرى ماذا تفعل؟

دون لاتينو : ثقى بى وبكرمى أيتها المزعجة.

(صبى الحانة يهرع خلف صاحبها... فى الخفاء وبإشارة مستترة يقذف الصبى بالمنديل... بيكالا جرتوس يقذف المفتاح على صندوق التحصيل... يقترب من الغلام فى الظلام حيث توجد أكوام من القِرَب[١]... يتحدثان بسرية ويقظة... أعينهما وآذانهما مصوبة نحو المائدة... بيكالا جرتوس يغمز بعينه نحو دون لاتينو.)

لابيسابينى : دون لاتينو، فلتكن العشرة آلاف هذه مهرًا لى.

دون لاتينو : سأشترى لكِ بها منزلاً.

---

(١) جمع قربة.

لابيسابينى : (مسرورة) رائع. ما أقوى عزم الرجال.

دون لاتينو : يا بنى، أحضر قدحًا من الينسون لهذه السيدة.

صبى الحانة : بكل سرور.

دون لاتينو : الآن تعترفين.

لابيسابينى : دون لاتينو، إن ظرفك ليس له حدود، لا تتوله فى بحر صبى هكذا، فأنت (فشّار).

الشاب : دون لاتينو، احترس منهم؛ فهم يتغامزون على النقود التى بحوزتك.

لابيسابينى : (**لدون لاتينو**) ما رأيك لو تقاسمنا هذه الورقة الرابحة؟

دون لاتينو : إن هذه سرقة يا إنريكيتا.

لابيسابينى : (ساخرة) لا تخف، واترك الرعب الذى يتملكك لشخص أصلع اعتاد مغازلتى. يبدو أنك تيْس مجنون.

الشاب : (**لدون لاتينو**) هل هذه الفتاة الغجرية لا تناسبك؟

لابيسابينى : سأدفنه خلال أسبوع واحد.

دون لاتينو : سوف نرى.

الشاب : إن التى تناسبك امرأة باردة غير متوهجة.

لابيسابينى : إن أمى تناسبك، لكنها أرملة مهذبة، ولكى تأخذ منها شيئًا لابد أن تصحبها إلى الشارع.

دون لاتينو : إننى نبى الحب الحر المنطلق.

لابيسابينى : اجمع بين أمى وبينى لكى تكون الرجل الرسمى الذى يعلن عنه فى صحيفة البريد La Corres. لقد استفز حبى أحد الضيوف فترك كأسه. إلى أين يا دون لاتينو؟

دون لاتينو : إلى التواليت، سأعود، لا تتعجلى يا حلوة، انتظرينى.

لابيسابينى : سأصحبك يا دون لاتينو، إننى امرأة غيور.

(يتفق صاحب الحانة بيكالا جرتوس مع الصبى على كلمة سر... يبعد عن المكان بسرعة... يوقف البوهيمى دون لاتينو... يمسك به من ياقة معطفه فى الظلام... دون لاتينو تحولّ عيناه، ويمتقع لونه، وتترنح يداه مثل عرائس "الماريونيت".)

دون لاتينو : لا تكن همجيًا.

بيكالا جرتوس: لابد أن نتكلم. هنا ترك المرحوم مبلغًا من المال لا يقل عن عشرة آلاف ريال، ولابد أن تدفع إلينا مبلغًا حتى نسكت.

دون لاتينو : بأى حق؟

بيكالا جرتوس: لأنك إنسان انتهازى.

(الشاب يقترب من دون لاتينو وهو يترنح محاولاً لفت النظر إلى أنه يخبئ سكينًا.

يسعل وينحرف عن الطريق متجاوزًا الموجودين.

لابيسابينى تطوى طرحتها ثلاث طيات، وفى الخفاء تفتح مطواة وتمسك بها.)

الشاب : نحن جميعًا هنا، وأعيننا منتبهة، ومن حقنا أن نلقى نظرة على هذا الكيلو من "البنكنوت".

لابيسابينى : دون لاتينو سيذهب معى.

الشاب : هذا وهم.

بيكالا جرتوس: أيها الصعلوك، إنك تخبئ سلاحًا معك، ولا نريد منك أن تفتعل مشاجرة.

الشاب : دون لاتينو، لقد نهبت أحد البنوك.

دون لاتينو : طبعًا.

لابيسابينى : اخرس وابتعد من هنا. لقد ربح دون لاتينو ورقة اليانصيب رقم ٥٧٧٥، وأنا التى بعته إياها.

بيكالا جرتوس: الفتى والخادم شاهدان على ذلك، أليس صحيحًا أيها الفتى؟

صبى الحانة : بلى، وهذا ما حدث بالفعل.

الشاب : ميياو **(يخرج إيماءة تهديد من فمه)**

(تظهر بعد ذلك بكونا Pacona، وهى عجوز قوّادة... تبيع الصحف... تدخل الحانة ومعها عدد من الصحف... تترك نسخة من صحيفة الهيرالدو Al Heraldo فوق المائدة... تخرج كما دخلت: فضولية صامتة... تنقل بصرها بين حافة الباب ونجوم السماء، ثم تعود وتنادى على الصحف.)

بائعة الصحف : هيرالدو مدريد، أسرع، هيرالدو مدريد، وفاة سيدتين فى ظروف غامضة بشارع بيا ستردو، أسرع، هيرالدو.

(يقطع دون لاتينو جلسته مع المجموعة... يقترب من المائدة... يبدو عليه الغموض وسط دائرة الضوء المنبعثة من الأباجورة والصحيفة مفتوحة بين يديه... يتمتم وهو يقرأ عنوان موضوع الحادثة... ينظر الموجودون إليه باستهزاء وبغرابة كما لو كان عجوزًا خرفًا... يطالع الخبر بصوت خفيض لا يسمعه غيره: حجرة ملتهبة تخرج منها رائحة كريهة... سيدتان مخنوقتان، هذا ما تقوله إحدى الجارات؛ السيدة فيستيا التى لا تعلم إذا كان الحادث جريمة أو انتحارًا؟ إنه غموض.)

صبى الحانـة : قل لى يا دون لاتينو: هل اسم السيدتين مكتوب طى الخبر؟

دون لاتينو : سأرى.

الشاب : لا تمل برأسك العنيد هكذا أيها العم الغبى.

لابيسابينى : هيا بنا يا دون لاتينو.

صبى الحانـة : أقسم بأن هاتين السيدتين زوجة ماكس وابنته.

دون لاتينو : إنها سخافة. لماذا أقدمتا على ذلك؟

بيكالا جرتوس: لأنهما قد عانتا كثيرًا.

دون لاتينو : لقد تعودتا ذلك. إن لهذا تفسيرًا آخر؛ إنه الألم والحزن الشديد لفقد ذلك النجم.

بيكالا جرتوس: (**لدون لاتينو**) كان يمكنك إغاثتهما.

دون لاتينو : طبعًا، وبهذا القلب الذى أحمله يا فينانسيو.

بيكالا جرتوس: الدنيا ليست سوى صراع ومنافسة.

دون لاتينو : بل شىء محال قبيح المنظر.

سكّير : عقل متميز.

مراجع الدراسة

1- Doménech Ricard, ed: Ramón del Valle- Inclán. Madrid 1988, 451 págs.

2- Gil, ILdefonso Manuel: Valle- Inclán, Azorín Baroja, Madrid, 1975, 178 págs.

3- Zamora Vicente, Alonso: La realidad esperéntica, Madrid, 1983, 218 págs.

4- Ruiz Ramón Francisco: Historia del Teatro Español Siglo xx. Madrid, 1984, 584 págs.

5- Greenfield, Summer M: Valle- Inclán. Anatomía de un teatro problemático, Madrid, 1990, 296 págs.

6- Valle- Inclán, J. Y. J. del: Romón María del Valle- Inclán. Entrevistas, conferencias y cartas, Valencia, 1994, 706 págs.

7- Dru Dougherty: Un Valle- Inclán olvidado: entrevistas y conferencias. Madrid. Espiral Fundamentos. 1983.

8- Ramón del Valle- Inclán: Luces de Bohémia. Esperpento. Edición Alonso Zamora Vicente. Apéndice y glosario. Joaquín del Valle- Inclán. Colección Austral- Madrid, 1998.

9- Ibidem: "Chanelo el sermo vulgaris". El lenguaje de "Luces de bohemia" pág: 236.

10- Ibidem: "La Tragedia nuestra no es tragedia"? Qué es el esperpento? Pág: 241.

11- Ibidem: "Está buena España". Situación política y Social, pág: 209.

المؤلف فى سطور:

رامون ماريا دى باى إنكلان

- ولد فى عام ١٨٦٦م.
- توفى فى عام ١٩٣٦م.
- له العديد من الأعمال منها:
  - نسائيات
  - الفتاة المولّدة
  - الكوميديا الوحشية
  - رومانسية الذئاب
  - قصر مليء بالحيل

المترجمة فى سطور:

ثريا محمد سعد الدين شلبى

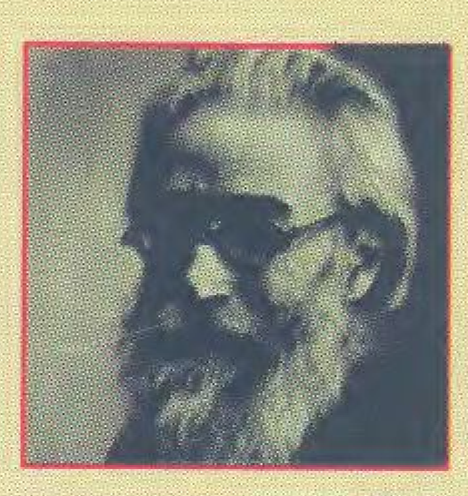
- أستاذ الأدب والنقد الإسبانى المتفرغ بكلية الألسن، جامعة عين شمس.
- دراسات فى اللغة الإسبانية وآدابها بجامعة هافانا (كوبا) من عام ١٩٦٤ حتى عام ١٩٦٨.
- ليسانس فى اللغة الإسبانية من كلية الألسن، جامعة عين شمس عام ١٩٧٣.
- دراسات عليا فى الأدب الإسبانى المعاصر بجامعة كمبلوتنس بمدريد (إسبانيا) من عام ١٩٧٥ حتى عام ١٩٧٩.
- ماجستير فى الأدب الإسبانى المعاصر من كلية الألسن جامعة عين شمس ١٩٨١ (أول ماجستير فى الأدب الإسبانى من إحدى الجامعات المصرية).
- دكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى فى الأدب الإسبانى المعاصر من كلية الألسن جامعة عين شمس عام ١٩٨٧ (أول دكتوراه فى الأدب الإسبانى تناقش من إحدى الجامعات المصرية).
- شاركت فى عدة مؤتمرات داخل البلاد وخارجها، أهمها المؤتمر العالمى للذكرى الخمسين لوفاة الكاتب الإسبانى باى إنكلان بدعوة شخصية عام ١٩٨٦، والذى أقيم فى جاليثيا Galicia، مشاركة ببحث عن "فن الدراما لدى إنكلان".
- رُشحت لعدة مهمات علمية بإسبانيا لجامعة الأوتونوما بمدريد أعوام ١٩٨٨ و١٩٩٠ و١٩٩٥.

- أستاذ زائر بجامعة الأوتونوما عام ١٩٩٢.
- لها العديد من الدراسات النقدية فى الأدب الإسبانى وأدب أمريكا اللاتينية، منها:

١- "الخيال الجديد" فى مائة عام من العزلة لجابريل جارثيا ماركس.
٢- "الإحساس البيئى" فى رواية طريق الكمال للكاتب الإسبانى بيوبا روخا.
٣- "التعصب الدينى" فى رواية دُنيا برفكتا لرائد الواقعية جالدوس.
٤- تطور القصة القصيرة فى أمريكا اللاتينية.
٥- "موضوع الدكتاتور" فى رواية السيد الرئيس لكاتب جواتيمالا العظيم أستورياس.
٦- "التمرد النسائى فى ثلاثية لوركا، برناردا ألبا، يرما، وعُرس من الدماء".
٧- تجديد نظرية الأدب فى قصة "حديقة الطرق المُتشعبة" لخورخى لويس بورخس.
٨- ترجمة لثلاث قصص قصيرة، وهى: "قل لهم ألا يقتلونى" لخوان رولفو، و"الدبوس" لفينتورا إندوراين، و"الأرض" لخوان بوش.
٩- ترجمة ودراسة لرواية "بانديراس الطاغية" لباى إنكلان.
١٠- ترجمة ودراسة رواية "ببيتا خيمنث أو الصراع بين الشعور الدينى والدنيوى" لخوان باليرا.

التصحيح اللغوى: **أحمد رمضـــان**
الإشراف الفــنى: **حســـن كامــل**





أضواء بوهيمية

تأليف: رامون ماريا باى إنكلان

ترجمة وتقديم: ثريا سعد الدين شلبى

تعد هذه المسرحية ميلادًا لفن درامى جديد بالنسبة لأعمال باى إنكلان والمعروف بأدب القبح الذى يتركز فى تشوه المجتمع الإسبانى بفئاته المختلفة، إذ إن سلسلة لا تنتهى من المفردات الغريبة والأسماء المستعارة لكل الشخصيات والمصطلحات المركبة للغة الإسبانية الدارجة، التى تستخدمها فئة معينة من واقع المجتمع، إلى جانب لغة الغجر المعروفة باسم خيتانسمو Gitnismo، واللغة الخاصة بسكان مدريد العاصمة. كل ذلك إلى جانب أسلوب المؤلف التهكمى الساخر، الذى يصل فى معظم الظروف إلى حد السخرية اللاذعة، أسلوب كاريكاتيرى يذكرنا دائمًا بمسرح العرائس.

كل ذلك يبرز مكانة باى إنكلان بين جيله، والذى يعد من أبرز رواد جيل 98 الذى أحدث تغييرًا ملموسًا فى الأدب الإسبانى المعاصر.